زيارة طبيب

مجموعة قصصية

عباس مدحت البياتي

زيارة طبيب

مجموعة قصصية

الكاتب

عباس مدحت البياتي

المانيا

إهداء

أهدي هذه المجموعة الشيقة من القصص إلى:..

أبني الغالي وزوجتي الغالية

وإلى القارئ العزيز

عباس محدث البياتي

رحم الله المتنبي

أعز مكان في الدنى سرج سابح.....

وخير جليس في الزمان كتاب

****

ما كل ما يتمناه المرء يدركه ...

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

****

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه...

وصدَّقَ ما يعتاده من توهم

المضمون

1 القطة 6
2 القوقعة..... 31
3 الفندق..... 37
4 العقربة 45
5 الكرونا..... 51
6 الزنبقة..... 67
7 زيارة طبيب..... 81
8 البار..... 98
9 باقة ورد..... 109
10 لسعة نملة..... 117
11 مجرد لقاء..... 128
12 عواصف الشتاء..... 132

القصـــلة

كنتُ قد أنهيتُ للتو إجراءات تصديق جواز خروجي من مطار أبوظبي وذلك بختم الجواز بختم إذن المغادرة. اتجهت لصالة الانتظار، جلست في جانب منها على كرسيٍ منفردٍ، منتظرا ولوجي لداخل الطائرة. وما أن مرت الدقائق؛ حتى اكتظت الصالة الواسعة بالمسافرين، ولشدة الزحمة امتلأت الكنبات والكراسي بهم عن بكرة أبيها، بحيث نادرا ما تجد فيها كرسيا أو مقعدا شاغرا..

كان المنظر إلى جانب السجدة الأخيرة التي يختلج بها السفر هميما من وجهة نظري، دبقا، ثقيلا، تراخى به صمت مدقع، أوطن مخالب الشك في أدمة الذاكرة، أصاب رقائق الصبر بصدى العناء والملل نتيجة فراقي حبيبتي.

لحظات صمت وسكون حملت في اسفارها الكثير من الغيض والفيض، أهتز لها العقل والبدن، شطّت الروح عن الفكرة؛ بحيث صرت أهجس بذاتي تهرب من ذاتي إلى حيث التيه، تحتضر، وفي ظني وضميري يخفق هاجس غياب الحبيبة. حينها سهوت بأتون الفكرة التي أبغي تطبيقها دون إرادة مني، إلا وهي البحث عن مأوى، عن استقرار في جوف الغربة...

بـت أعـيش صـراعا بـين واقعـي التعـيس وحلمـي الرغيـد الـذي أتأملـه، كنـت قـد وجـدت دوافـع داخليـة تشـجعني علـى تجـاوز عقـدة السـفر بشـيء مـن التضـحية والنسـيان وعـدم المبـالاة، لتـامين خـط المسـتقبل، الـذي أراه قـد انقطـع دابـره فـي وطنـي، أضـحى خـطٍ أجوف، دميم، لذا بتُ أبحث بديل عنه في جوف غابة مجهولة.

وأنـا فـي تلـك الحيـرة مـن أمـري؛ كـان قـد شـط الـذهن بـين تلـك الوجـوه المارقـة أمـامي ووجـه زوجتـي التـي كنـت قـد فارقتهـا قبـل سـويعات فقـط، إذعانـا لصـوت الغـد والمسـتقبل الـذي بـات يصـرخ فـي دواخلنـا، أضـافة للقلـق الـذي أعتـرى ذهنـي بسـبب سـوء أوضـاع الـوطن دون إمكانيـة العـودة لـه علـى الأقـل فـي تلـك الحقبـة مـن الـزمن. ذلـك القلـق أرعبنـي، أصـبح لـه هالـة فـي يقينـي، صـار كجـرس الجـداء فـي عنقـي، يـرن فـي أذنـيَّ، يحـذرني دون أن يهـدأ ضـجيجه.... هكـذا لاعـت أذنـيَّ جلجلـة صـداه، أضـحى لـذلك الصـوت لثغـة، سـببت لـي وعثـاء وعنـاء وقلـق وعـدم اسـتقرار؛ حتى وأنا أعيش خارج الوطن.

حينهـا كنـت قـد حجـزت تـذكرة سـفر علـى مـتن طـائرة الإيربـاص إلـى إسـطنبول، والمحـددة كرسـيها بمقعـد بـرقم 23 مـن المقاعـد العامـة، والـذي موضـعه يتوسـط الطـائرة، قـرب النافـذة مـن جهـة القلب.

خـلال فتـرة الانتظـار وأنـا جـالس فـي تلـك القاعـة، كنـت قـد لمحـت سـيدة ثلاثينيـة رشـيقة، فاتنـة، جذابـة، تـدور فـي أرجـاء الصـالة،

تهجس بها شبقة، غرة، مغنجة بالسحر من رأسها لأخمص قدميها.

بطلتها هجست بها تضاهي فتنة زوجتي من حيث الشكل والقوام، لذا لفتت انتباهي من بين جميع النسوة اللاتي دخلنَّ الصالة، لأناقتها وحسن فتنتها كانت قد استقطبت أنظار الجميع؛ حتى خلتها زوجتي، للشبه الكبير والتناسق المبهر في الشكل والهيئة واللبس، وكذلك في قسمات الوجه والهيئة والسن.

تلك السيدة كانت قد شغلت كرسيا يقبع قبالتي، مما حفزت في نفسي شعور الاهتمام بها، وكأنها هي الوحيدة التي ستسافر معي في الطائرة. مما جعلتني أصبب جام همي وقلقي وولعي في كأس فتنتها؛ حتى أوهُنتْ مشاعري بأنها زوجتي، فزادتني إرباكا ووهتا وإلحاحا، بحيث أغدقتُ في متابعة سطوع ذلك الألق بتركيز مفعم بالزهد المبالغ فيه؛ حتى حفظت جُلَّ ملامحها وثراء مفاتنها عن ظهر قلب.

هجست بذاتي قد أرتقت سلم مشاعرها وهي تتصفح صحفها المغنجة بالفتنة بشيء من الرغبة والتأمل، شدّتُ أنتباهها، وكأنها قد رقت لملاطفتي ومشاكستي، وكأنها التقت نظيرها، جراء الوحدة والغربة التي شغلتنا، لذا باتت تمحقني بنظرات خجولة فيها إنَّ.

من أول وهلة، مع دخولها الصالة؛ كانت قد سحرتني بفتنتها، جعلتني أقارنها بقرينتي، خلتها هي ذاتها التي تركتها في البيت قابعة بين جدران الوحدة والتأمل قبيل ساعات من الآن. للشبه

الكبير في اللبس والأناقة وتقاسيم الجسد والجاذبية المنبثة من قوامها الرشيق، حيث تملكت مشاعري دون غيرها ودون إرادة مني..

خلتها هي ذاتها جاءت تتعقب هوسي لتودعني، وكأنَّ روحها تقمصت روح هذه الفاتنة لتتجسس على سلوكي وطيشي ونزواتي حتى وأنا بعيدٌ عنها. هجست بها قرينة زوجتي فتلبستها، تلبست جسد زوجتي، تلك التي صورتها تدور في مرافق الوجوه التي أقابلها، لا تفارق مخيلتي، حيث المرأة تبقى بمرآة ذاتها وكيانها متعلقة بروح زوجها وأن غاب عنها زمن ما.

هكذا بدت لي روحها هفهافة تدور حولي وأنا أحاول قضم تفاحة فتنتها المعلقة بشجرة ذاكرتي وهوسي ومخيلتي، لتخرجني من لجاجة غروري ونار حماقتي لجنتها الواسعة.... هكذا وسوس لي الشيطان، وعسى أن تأخذ بيدي تلك الفاتنة لباحة جنتها الشيطانية.

خلتها سمكة ترغ في شطآن صمتي، وعلى مرأى من عيني وبمحيط قلبي، لذا تبعت مسارها علنا، علني أصطادها. علها تنقذني من تهيؤاتي وتيهاني وانشغالي بفكرة السفر والحلم الذي أبغي نيله. هجست بها حلت على رأسي كمطرقة الحداد، فسرقتني من نزاهتي ووجاهتي لعالمها الداني، تركتني اتطفل على أغصانها وفي فلاتها كقشة أشتط بين أرجائها، اسوم ذاتي

إلـى عالمهـا الـداني بقيمـي ورجـولتي، وكـأني أدلـق بهـا لعـالم الـود في أحضان زوجتي..

أصـبح فـي نيتـي محاولـة جمـع ثـروة مفـاتن تلـك الجميلـة مـن جهـة، والحفـاظ علـى سِـفر التكـوين العـائلي المبجـل مـن جهـة أخـرى، علنـي أعبـر مجـاز الغربـة والعُقـدْ بحثـا عـن وهـدة اسـتقرار وراحـة تجمعني بزوجتي.

مـا أن جلسـت قبـالتي؛ حتـى هيجـت مواجـع القلـب بفـراق حبيبتـي، جنحـتْ الـروح لأتـون شـباك الـذاكرة، لمهـاجع الـود والطيبـة، للشـهقة واللهفـة، لتنهـدات الـروح ونبـذ عُقـد الـوطن ومداهنـة جـواءه، والتـي صـارت تثيرهـا ريـاح الـود وتريـق مؤثراتهـا فـي صـحن الانتمـاء، غـدت تمـس هـاجس الأسـرة بشـكل مباشـر سـواء أبينـا أم رضينا.

جنحـتُ لتلـك الأماسـي مـن الصـمت والهـدوء والرجـاء التـي جمعتنـا علـى سـفرة الألفـة والـوداد، إلـى الضـحكة والنكتـة والنـزوة والشـك والعنـاد والعكـرات؛ نتيجـة ولعـي وجنـوني بهـا وتعلقـي بسـر تلـك الأصـفاد مـن السـحر والاوتـاد التـي جمعتنـا. أهجـس بهـا متجـذرة بأنفاسـي، متعشـق فـي مسـامات جسـدي وذاكرتـي، لـن تفارق وجسي إطلاقا ولو قيدتنا الشدائد.

ذلـك مـا دفعنـي أن ألـوك ملعقـة الـود بكـأس تلـك الفاتنـة، عسـى أجـد فـي فتنتهـا حـلاوة فـاتنتي، أن أوقـد فتائـل صـبابتها ببريـق قبسـي، لأرتـع بعذوبـة غنجهـا وديبـاج أهوائهـا، بـدأت أعـرك ذاتـي فـي خضم تلك الوقائع التي جذبتني لسرائرها.

وأنا أحاول أن أرغ ولعي بكأس فتنتها؛ كانت قد أصابت سهامها وجدي، هجست بها تلاحقني سرا قبل أن أخطو خطوة تجاهها. من خلال نظراتها التي أزفّت تحوك غايتها بين أحداقها، وكأنَّ روح زوجتي مغشية في روح هذه الفاتنة، وكأنها أطرقت أذنيَّ بصخب ذلك الصمتْ الدائر بيننا... مما جعلتني أسرح بفيض ذلك الألق المشع من وجهها وبالجاذبية المراءة بملامح وجهها وتقاسيم جسدها بشيء من العجب والتحدي. للتناص الواضح والتوافق الحاصل ما بين فتنتها وفتنة زوجتي بالقياس والبهاء؛ حتى أني هجست بذاتي مأسورٍ بفتنة زوجتي دون شك.

وددت التقرب من تلك القطة الشيرازية الأليفة، النادرة، المشبعة بالأنوثة وجميل الطلة، بت أبحث عن فرصة تقربني منها، تقحمني بمجرى أهوائها ومحادثتها، لغرض تسليك الوقت القادم والبحث عن سر لغز ذلك التشابه الذي يجمعها بزوجتي من جهة، ودرجة انحراف ذهني في متاهة تلك الفاتنة من جهة أخرى. مع شذوذ فكري كنت أتحزب بآيات من القرآن عسى أن أتخطى مشواري بسلام.

تركت عيني تتلصص محيطها بما يشغلها، تستقطب الفرص المتدحرجة أمامي بشيء من الرغبة والأناقة والعبثية بذات الوقت، لست ربيبا، ولا بمعزل عن الناس المحيطة بي ولكن بشيء من البلاهة والحماقة، عسى أن تسنح لي فرصة حقيقية للتعرف عليها، لأعشق غايتي بتلابيب ديباجها...

كانت تجلس إلى جانبها إمرأة عجوز شمطاء من جهة الشمال، ورجل أربعيني أصلع يرتدي بدلة رمادية ونظارات سوداء يقبع يمينها، كأنه رجل مصدور.

لم تكن لها صلة بهما، لذا تركت أحداقي تحلق في فضاء تلك الفاتنة بكيفية. لكسر حاجز الجمود الحائل ما بيني وبينها، تركتها تخزر ملامحها وتفاضل جسدها بشيء من الشراسة والعبث دون حياء، حتى أني تعجبت من جرأتي التي ماجت في حقل مفاتنها كجدول يشتط طريقه دون أن أعير اهتماما لمحيطي من البشر.

وأنا في تلك اللحظة من العناء خلتها شمس تدور في فلكي، لما فيها من حيوية وتأمل وبهاء وإيباء. خلتها جنينة ترتع بخوار جسد بض، أتنزه بها كيفما أشاء.

كان عليَّ تتبع حيثيات مخارجها حتى أدرك غايتي، صرت أدور حولها بتلك النوايا الخبيثة وبشيء من التطفل، عسى أجد لديها ما يعينني على تجاوز حدود الصبر، عسى أعبر بها جداول الروتين والحقل الأصفر الشائك في حدقي. اعتبرتها كتاب جديد اتصفحه، لأجد فيه متعة تغيثني وتلمع فكرة السفر..

لذا صرت أتبع سرها بشغف، بنهم، وأنا أسير خلف ذلك الشك من الغي دون إدراك، اعتبرتها زهرة توليب تستقطب ذاتي المريضة، صرت أدور حولها كدبور غلس، أود امتصاص رحيقها وأشم ضوع مسكها المنتشر.

ذلك ما كان ظاهرا أمام الملأ دون أن ينتبه أحد منهم على اللغز الدائر في جعبتا، وعما يكمن في نظرتها من مخاتلَةٌ وشراسة نَمِرة تتبعني بها، كأنها تود افتراسي وأنا قابع أمامها كيمامة مسجورة بتلك الفتنة.

تلك الحالة من الطمأنينة راغت في داخلي، جالت في خواطري، جدلت الرغبة بفتائل عينيها الملظتان، رغم الفزع والريبة المرة التي صرت أهجس بها تخنقني، لعدم إيفاء حبيبتي بالعهد الذي قطعته أمامها على نفسي....

تلك القطة جعلتني أنسى ذاتي المتغطرفة، المتغطرسة، المدانة بمعان عزتها، لأتعقب خطوط السحر في تلك المباهج بذاتي المسكينة، المستكينة بجوارحها في وجه ومعالم تلك الحورية، محاولا اقتفاء أثر جنوحي بأثر جنوح ذاتها في رجولتي..

هكذا جعلتني انشغل بها، صرت أتبعها دون يقين، بتوافق رغبتي مع رغبتها، محاولا أسناد ذاتي بذوات أخرى، أحيانا أشعر بذاتي مركبة من عدة شخصيات، أينما أضعها تلبس الحالة، فهيَّ جديرة بتقمص الحالة الطارئة، تصلح بتمثيل الدور بجدية...

أظن أني بارع في هذ المجال، أتمكن من تقمص كل الأدوار وتقليد الشخصيات بحرفية، أجد في ذاتي شخصية الأستاذ والطالب والمتسول والمخمور والعاطل والمخبول والراقص والسياسي والمثقف والراقي في نفس الوقت، فأنا ممثل بارع. لذا كانت زوجتي تحتار في تشخيص شخصيتي المتقلبة، ذلك ما

جعلني اطاوع هوى الظرف والأدوار المناطة إليَّ، مع التحكم بتفاصيل الغاية المراد صيرفتها؛ حتى أصل بذاتي شاطئ الغاية برفقة من أهوى ودون كلل وملل.

لا أدري أن كنت في هذا المجال منمازا بين البشر أم هي حالة اعتيادية تفسر خصائصي، أم حالة اعتباطية غثيثة أتقمط بها دون إرادتي.. وما تلك التي تعلقت بها سوى وسوسة شيطان، ذكرتني بجنوني وولعي وهيامي وغرامي بزوجتي، لذا تماديت في غيي تجاه تلك القطة التي لا استطيع فك أنشوطة عقدها عن رقبتي، لأنها تحمل في غيها جمرات غنج حبيبتي، وكل ظني أن أكون جديرا بها، أن أستكشف أسرار تلك الفتنة وما تخفق خارج حدود فتنة زوجتي.

ذلك الشيطان ذكرني بلون الشبق الذي لا ينطفئ نار جمره في صدري وحدقي. لم يكن فراق حبيبتي فراق وداع قط، أنما فراق لقاء وحلم وأناة، فراق صمت وذهول وغزل يغويني، حيث أني ما فارقتها إلا لتجديد لقائها، لأحتضنها بشبق يفوق الذي أكنه لها؛ إلا لأشتاق لها وأعود إليها بسحر يرفأ جنوني بها، لأعيش بقية عمري بين الجفن والحدق، لأشَّف أذنيها بخُلدٍ من سحر الشوق وودق الهيام باللقاء.

كنت قد تركت زوجتي تعمل في وضيفتها كشعلة لا تنطفئ، منشغلة بفترة الأعداد والتكوين الفكري للتلاميذ، فترة حرجة من التوافق والترتيب التي لابد لها من أن تتمم مشوار القها التعليمي بها، حيث لا ينبغِي أن تترك فراغا في وسط أذهان التلاميذ

والإدارة علـى أن تكـون برفقتـي. لأن المبـدأ مصـون، ولنـا غايـة تقبـع فـي الـنفس كغايـة يعقـوب، لا نـود أن نشـيح بهـا. حينهـا تركتهـا عصية على الزمن حتى يعود بنا الزمن لأبجدية الحياة.

كانـت تلـك الفاتنـة ترتـدي نظـارة شمسـية صـفراء اللـون، ومـا أن رفعـت النظـارة عـن عينيهـا العسـليتين؛ حتـى فاضـت بواحـة سـحرها علـى محـيط الـوجنتين، رفلـت فضـاء وجههـا بفتنـة غايـة فـي الألـق والجمـال، كإسـهاب فتنـة عينـي حبيبتـي حـين تَوْضِـئ وجههـا بفـيض السحر وأنا في كنفها..

عيناهـا المشـعان بالفتنـة، طفقتـا تلمعـان فـي وجههـا بسـحرِ غريـبٍ، أضـاءت مسـاحة الحسـن مـن الوجـه. تلـك العينـين بانتـا كقمـرين انبثقتـا مـن خلـف سـحب جفنيهـا، سـهدتا فـي معـالم الوجـه المشـرق بفتنتيهمـا، ذلـك الـذي بـان أشـبهه بقـرص خبـز صـباحي، لجاذبيـة البشرة والملامح المغنجة به.

بالتفاتهـا يمينـا وشـمالا، هجسـت بهـا تبحـث عـن مـن يعينهـا، عـن وجـه تألفـه يـزيح عـن ذاتهـا شـبح الوحـدة، أو ربمـا تبحـث عـن الحريـة المطلقـة لملاحقـة مـا تجـرأت بـه فـي مشـاغبتي، هكـذا خيـل إليَّ المشهد، وهو الذي جعلني أتبع سر نجواها.

باهتمامهـا بنفسـها كانـت قـد أبـدعت فـي تسـليس مكياجهـا، أراقـت الشـفاه بمسـحة شـفيفة مـن حمـرة ورديـة لاذعـة ضـاهت بهـا رقـة الأنـف المغـنج بالشـموخ والألـق، ليسـطع كمرفـأ علـى مسـاحة الوجنتين ببهاء الشفق.

بحذاء كعبها العالي كانت قد ارتقت بطولها مقاس طولي في القياس، كما كانت تحمل في يدها حقيبة جلدية نسائية سوداء اللون، واضعة فيها مرآة صغيرة وأقلام مكياجها وهاتفها وحافظة نقودها وجواز سفرها، ذلك ما تبين لي فيما بعد من خلال استعمالها ومراقبتي لها عن كثب.

شعرت بأحداقي لا تشذ عن فتنتها قيد شعرة، حتى أني توجست خيفة من ملامة المحيطين بها أو من مراقبة أمن المطار لي، وخاصة الأسقف مزروعة بشبكة عنكبوتية من كاميرات المراقبة التي تحرس المطار من العابثين والمتطفلين، تتوجس كل كبيرة وصغيرة لا توائم الطبيعة المرادة. وأني بذلك كنت قد تجاوزت الحالة المألوفة، كأني أرسلت لها رسالة تحرش واضحة، وعلى ما أظن قد تلقتها وفهمتها، وأن كانت لا تظهر مبالاتها علنا.

كانت ترتدي بنطلون جنس أزرق من النوع المطاط، كما كانت ترتدي بلوزة جرسية فضفاضة سوداء اللون، تحلق رقبتها قلادة ذهبية، وتعشق أذنيها أقراط دائرية ذهبية. كما كان شعرها الفاحم مسرج فوق كتفيها بتدرج سلس كشلال يرتقي طيات الجسد، أشبه بشعور فاتنات الجنس الكوري...

مع أني لاحظت فتاة أخرى كانت تجلس على بعد خمسة أمتار تقريبا إلى جانبها الأيسر، تكمن في ساقيها المعرتين فتنة سليطة تشذب النظر، إلا اني لم أنجذب إليها لعري ساقيها، ولانشداه بالي بتلك القطة الشرسة، للتقارب ملامحها بملامح زوجتي...

تلك المُشَرّحَة كانت ترتدي تنورة قصيرة جدا فوق الركب ذات لون عنابي بحواف متهتكة منفوشة، مُهترة، خامتها من نوع الجنس المتداول بين عرف الشباب كصرعة العصر، مع قميص أبيض نصف كوم بياقة مفلجة دون أزرار، كاشفة جزء من مفاتن الصدر، وخاصة تهجس ببشرتها السمور فيها شحنة من الجاذبية لا يمكن تجاهل زبد السمرة المراقة بها..

هجست بها من خلال جلستها وكأنها لم تعر أهمية لمن يجلس حولها، وخاصة وهيَّ تعرض فتنة تلك الأفخاذ الثأدة بشراسة، بما فيها من تفصيل وجاذبية الشحوم البضة دون مبالاة. سيقان لما فيها من تناسق وبهاء البهاء القوام المبرمة من الكاحل حتى الارداف الملظة، لترفق السيقان بسحر تكور عجيزها.

ذلك ما كان واضحا للملأ من طريقة جلوسها وهي راكبة الساق فوق الساق، جذبت أنتباه كل الجالسين في محيطها.

عندها شاقت النفس بأن تتحرى على مفاتن الوجه برغبة الفضول، وددتْ أن أتطلع على حجم التناسق المرفق بين الوجه وتلكم الساقين، لما فيهما من جاذبية، لأشبع فضولي بها ليس إلا.

الفضول دفعني أتبع التناسق بين الساق والوجه، حيث كانت تجلس ووجها منحرف إلى جهة الثانية البعيدة، فلم أشاهد من جهتي شيء من فتنة وجهها سوى شعر كث، أصهب، مجعد، منفوش، مبهرج بالأوكسجين، مكور على شكل كرة سلة كبيرة، لذا لم أشاهد من ملامح وجهها شيء يذكر...

ذلك ما جعلني أنحرف يمينا بزاوية عشرين درجة، ملتفتا بنصف عين إلى جهة تلك المشعشعة وبنصفها الآخر أراقب القطة الجالسة قبالتي، كي لا افتقد فتنة الاميرة التي شغلت فكري... ليس اشتياقا، أنما الفضول أغواني، لأتحرى عن لغز تلك المعرة، لأقارنها بفتنة القطة التي شدهت ذهني وشغلت بالي كثيرا.

بطبيعة ذاتي فأنا لا أنجذب لتلك النوعية من النساء اللاتي يفضلن عري الجسد على حشمته، وأن هزني عري ساقيها لما فيهن من لون من البرونز يغشى بشرتها. لقد شبهت عريها بعري الغوان والمومسات في دور المباغي، أو تلك اللاتي يترنحن في الشوارع بعد منتصف الليل..

في لحظة خاطفة كانت قد ألتفتت بنصف دورة إلى جهة القطة، وكأنها هي الاخرى تبحث عن ذاتها في هذه الاجواء، عن شخص مجون يسلك لها دربها. ما أن نظرت تجاهها؛ حتى شنفتها بنظرة فيها ألف إنَّ وإنَّ....كان قد زاغ بصرها في مفاتن ووجه القطة، مثلما زاغ بصري في تقاسيم وجهها دون أن أجهد ذاتي، وكأنها بالتفاتتها هي الأخرى فتنت بمفاتن القطة، كأنها وجدت في الصالة من تنافسها على المحفل، لتلتمس حجم الفارق بما تمتلك من فتن وما يغشي القطة من ألق وبهاء...

ما أن التفتتْ يمينا حتى بان لي عبثية وعشوائية تقاسيم وجهها، لمست به قبح ظاهر ومنظر بشع، ظهر وجهها عبارة عن شرشرة ألوان دون تنسيق، وكأن الرأس لا يخص ذلك الجسد

القسيم المشبع بالفتن. ملامحها عبارة عن أنف مخروطي كبير، مقدم، وفم مشرط دون شفاه بارزة. لها عينان زائغتان في كوة محجريها لصغرهما، يشيح في حنكها الايمن وشم أو خال أو نكْتَةٌ سوداءُ كبيرة لا توائم تلك الملامح إطلاقا.

لا أدري لم تحاول الفتاة القبيحة أن تفتن الآخرين بمحاسن الجسد، حينها الشاب لا ينظر لها كأنثى؛ أنما كجسد يود لاستخلاص أنزيمه، فلا توقظ في نفسه أجواء الشبق ولا العاطفة قط، بذلك تخسر ذاتها دون أن تدرك، حيث الرجل يبحث في المرأة عن القيمة الذاتية والحياء قبل حسن المفاتن.

لذا غضضت الطرف عنها، عدت أتفكر وأتمعن بتلك القطة التي شغلت بالي بفتنتها، كونها أدرجت ذاتها في حساباتي العقلية كقرينة لزوجتي في الأناقة والسحر ولون العينين وقوام الجسد ورشاقة البدن. نسخة مستنسخة طبق الأصل، ممكن أن أستعملها في دوائر الفكر بطيب خاطر، وكأني لم ابتعد عن زوجتي قط.

لم يدم انتظارنا في صالة المطار سوى فترة وجيزة، بعدها نقلتنا العجلات الخاصة إلى سلم الطائرة لتقللنا إلى مآربنا...

ما أن وطئت مقعدي في الطائرة وعيني تترقب صعودها؛ حتى وجدتها تتجه نحوي بشكل مباشر، إلى أن اقتربت مني وطلبت مني أن أفسح لها المجال لتجلس في الكرسي المخصص لها إلى جانب النافذة بالمقعد المرقم 24.

ما أن جلست جانبي؛ حتى قالت بلهجة عربية مكسرة:...

- صباح الخير..

عرفت من خلالها بأنها ليست من أصول عربية. فقلت لها:...

- صباح النور والسرور والورد... ما شاء الله تتكلمين العربية...
- عشت في أبوظبي فترة وتعلمت القليل من اللغة العربية، فأنا من أصلٍ تركي.
- يا أهلا وسهلا تشرفنا بك.... وهل أنت عائدة لأبوظبي مستقبلا أم....؟
- لالا.. أنا انتهت مهمتي فيها، كنت منتدبة كسكرتيرة في ملحق السفارة التركية وقد انهيت فترة انتدابي، سأعود إلى دائرتي لأباشر العمل بها في أنقرة بعد أسبوع من الآن.

ونحن في الأجواء على الارتفاع ثلاثين ألف قدم، نسبح بحمده تعالى، نحلق في الفضاء كالطيور العابرة للقارات، جذبتنا الألفة، صرنا نتهامس في أذن الآخر دون أن نتكلم، صارت مشاعرنا تتحسس إهواءآتنا، بت أهجس بدخان الود يشتط بيننا، يتراقص كأفعى في مخيلة الحداق، صهدت الروح بنفح عطر العود، القلب زادت نبضاته؛ انغمسنا في أتون تلك الألفة دون كلف، اندمجت خواطرنا في ريعان نياتنا.

تعقبنا بعضنا، تحلقت نظراتنا بأهواء بعضنا البعض، أحاطتنا ابتسامات خجولة عابرة، دفقت بنا لغاية الزيغ في باحة التيه.

تعرفتْ عليَّ، أدركتْ وجهة سفري، تعرفت على الهدف الذي أبتغيه، آزرت غايتي، طفقت تلوك أنفاسها بأنفاسي.

خلال الرحلة صرت أتصفح مجلة زهرة الخليج الموضوعة في جيب المقعد الذي أمامنا، تلك المجلة تطرقت في أحد صفحاتها إلى الفوضى الدائرة في سوريا والعراق بما يخص المليشيات المتصارعة على أتباب السلطة والسيطرة على منافذ الحدودية، من أجل أثبات الوجود في الساحة، وبذلك صرت أنقل لها الواقع وما سطرته المجلة، لقد دار نقاش سلس بيني وبينها فيما يخص مشاكل المنطقة بفعل التناقض العقائدي لدى حكومة تركيا بتدخلها العبثي في الشمال السوري ورعايتها لداعش إلى جانب أمريكا، وخلافاتها العقائدية مع دول الجوار بما يخص تسليح بعض الأحزاب ودعمها المليشيات المجرمة، المتخذة من الاسلام شعارا لها. إلى ذلك من أطراف الحديث، فقلت لها:...

- يبدو ذلك السلوك لا يطابق حقيقة المنهج المعلن كدولة اسلامية، ففي الوقت الذي به تسعى إلى إعلاء راية الإسلام عاليا في المحافل الدولية؛ فهي تتدخل في شؤون سوريا وتسعى إلى خراب مصر وليبيا وتحاول زعزعة أمن العراق ودول الخليج واليمن وتقطع مياه دجلة والفرات. هذا كله يناقض شعارات أسنادها الشعب الفلسطيني في تحرير اراضيه إلى جانب علاقتها بإسرائيل. في ظني الحكومة تسيء إلى الاسلام والاقتصاد التركي بدلا من أن تدعمه وتقومه.

بـدت توضـح لـي المعمعـة فـي تلـك التناقضـات السياسـة التركيـة، والتـي أدخلـت ذاتهـا فـي نفـق ضـيق، فوجـدتُ فـي فكرهـا رفضـا لسياسـة تركيـا الخارجيـة، والتـي تجعلهـا العصـا الغليظـة التـي تعتمـد عليهـا أمريكـا واسـرائيل فـي خلخلـة أمـن المنطقـة وتهمـيش حكوماتهـا..... علـى الـرغم مـن صـعوبة تعبيرهـا إلا أنهـا تمكنـت من توضيح فكرتها المناقضة لسياسة دولتها.

كانـت لتلـك النـزوة التـي غصـنا بهـا فـي معتـرك السياسـة التـي لا تنفـك عـن جلودنـا، أثـرا فـي إذابـة جليـد العلاقـة مـا بينـي وبينهـا، هجسـت بهـا بـدت تقتـرب مـن هواجسـي وتتقوقـع فـي قيـافتي وسـذاجتي وبلادتـي كصـفة الرغبـة المغروسـة فـي ذاتـي، وكأنهـا لانـت لرغبتـي وسـكرت بمسـكرات كاسـي مـن شـغف وهيـام أرومه..

بعـد مـرور سـاعة مـن الطيـران كـنَّ قـد قـدمن لنـا تلكـم الفراشـات مـن المضـيفات وجبـاتهن الغذائيـة، والتـي كانـت تحتـوي علـى قطعـة لحـم دجـاج مقـدد مـع سـلطة خضـار ومقـدار مغرفـة مـن الـرز وقـدح مـن المشـروبات الغازيـة أو الشـاي أو المـاء والمشـروبات الكحولية....الخ.

كـان الـذي يجلـس يمينـي قـد غـق فـي هوانـه، أستسـلم لسـلطان وسـنه بعـد الانتهـاء مـن وجبـة الأكـل مباشـرة، وذلـك بعـد أن كنـا قـد تجاوزنـا نصـف المسـافة مـن الطيـران تقريبـا، كـان قـد أسـتفحل بـه الكـرى وتخـدرت أوصـاله بعنـاء السـفر، صـار يشـخر ورأسـه ملتـو

إلى جهة الممر الوسطي للطائرة، حينها شعرت بذاتي قد تحررت من قيد نظراته اللحوحة...

عندها استغليت الفرصة ومددت يدي لتلامس يدها، هجست بلسعة حرارة قد أسنت جلدي، لما فيها من رقة وفتنة وجواء، وكأنها كانت لها ذات الرغبة العوسجية في طريقة اللسع. ضرعت لرغبتي مثلما ضرعت لفتنتها، لم تسحب يدها من تحت يدي، تركتها تغور بسحر احاسيسها وحرارتها بذات الكيفية، وكأنها هي الأخرى لذعت من تطفلي وتحرقت بوسامتي ورجولتي، فانغمست مشاعرها باتون مشاعري حتى غدت الانفاس تشرق في زفيرها لدرجة الاندماج الذي شاب بيننا؛ كأنها رفعت حواجز التكلف والشك التي كانت تمنع تفاهتي من أن تسيح على كرستال مفاتنها، من أن أداعب ذيل عقربة مفاتنها وثلب تلك المحاسن التي تفيض في ثناياها.

لم تعترض على سلوكي السافر في مخاتلتها ومحاباتها، لم تنزعج من غيي في مغازلتها، فامتدت يدي لتلامس افخاذها، تمادت بغيها وعبثها، لتزحف فوق تلك المفاتن بشيء من الهوس والنرجسية، عصرت راحة يدها الترفة؛ حتى تقطرت رقتها من انفاسها كآهات صب راغت في صحن وجدي.

ما أن تراخت؛ حتى لانت لمطاوعة عصفي، أحمرت وجنتاها، بمجسات الأنوثة تحسستْ ما يجول في فكري وخاطري، بمستشعرات نظراتها وحرارة أنفاسها ادركت غايتي.. صارت احاسيسها بركان تشتعل في داخلها، حتى

خضلت وربتت، فأيقظت جوارحي بجوارحها. ملتُ لضفتها لتلتصق عيني بعينها. فقلت لها برقة المتأمل والعاشق المبهور بها:..

- أنت جميلة يا فاتنة، جميلة جدا يا...
- سهير.. أنا أسمي سهير.
- عاشت الأسامي، أسم جميل مرتبط بالليل والنجوم والقمر والسَحَر والسُهد والهجوع والخيال الدامغ. كأنَّ من يسمع أسمك يغرق في شجون الوحدة والتفكير حتى الذوبان.
- آه كم ترتقي شاعريتك الفياضة لإحساسي، شكرا لك لأنك جعلتني أتغنى باسمي.... وأنت بم تدعى؟
- أنا أسمي عامر، عامر الطائي...
- وأنت يا طائي؛ بوسامتك وجرأتك شعشعت فكري، شكرا لإعجابك بي، ولا أخفيك سرا، أنا مطلقة، تزوجت قبل ستة سنوات، ولم يدم زواجنا سوى سنة فقط، ثم عصفت تيارات الأضداد بخيمتنا، فثارت المشاكل حتى أزفت بنا إلى وحل العقد، مما اضطررنا إلى الرضوخ لقرار الانفصال... والحمد لله لم يكن بيننا ما يمنع الانفصال، ربما كان عاقرا بذاته، أو أنا عاقرة، حيث لم نجرِ اختبارات بهذا الشأن....
- وهل كنت متزوجة إنسانا؟.....

بدت تضحك هههههه، تبتسم، وهي في غاية الاستغراب من سؤالي لها حتى أنها قالت:....

- ماذا تقصد؟ أهو حيوان؟.....
- أكيد.. أقصد هل كان يقرأ الأحاسيس والمشاعر بفكر إنسان؟ هل أدرك لغز الأنثى وما فيها من براكين خامدة تحتاج لمعول رجل لإثارتها؟ هل فهم جدلية العلاقة وحقيقة الارتباط الأزلي ليترك جوهرة ثمينة بحجم الكون تنزف فتنة بين أعين الوحوش الكاسرة. ليترك وردة عبقة أسيرة ضوعها بين العيون النافقة... حقيقة ليس له الحق إطلاقا، وأن تقرحت دمامل المشاعر ونزفت، فالرجل الحقيقي لا يطلق حبيبته، أنه رجل مهزوم، بصير...
- هذا نصيب، إلا تأمن بالنصيب؟
- بلا... ولكن ... ماذا أقول لعبث الزمن.. حالي لا يختلف عن حالك، لطول لسانها طلقتها، والآن أشعر بشيء من العناء والغرابة، لم تكن غايتي ولا مرامي، جعلتني أعيش الوحدة وهي نائمة إلى جانبي..

كانت قد اغرتني القطة بفتنتها، فقلت يجب أن أساير أهوائها حتى تلين، علني أظفر بها، أنها فعلا جوهرة لا تقدر بثمن، كتلك التي تَغَزّلَ بها الشعراء، كليلى العامرية وبثينة وفوز وو الخ...

حينها رفعتُ كف يدها ووضعته على فمي لتستشعر بحرارة قبلتي، قبلتها قبلة طويلة، وما أن انتهيت حتى مالت برأسها على كتفي، ثم سحبت يدها الأخرى لتضعها خلف ظهري، لتحيطني بغنج، وبشبق وقوة، وكأنها ودت أن تغرف من فيض مشاعري

الجياشة غَرْفَة، فاختاضت بخضب الشوق وعاطفة من الحب والحنان، لا يمكن السيطرة على حركاتها.

في انحداري لضفتها كأني ركنت ذاتي في وهدة أحضان زوجتي، فلم أهجس بغرابة في سلوكي وتصرفي، حتى تخطيت حاجز محيطي وما يدور فيه من لغط، وكأني أرتع في فرشتي وأتقلب على وسادتي. حينها جعلتها في كأسي كقطعة سكر مراغة، أيقظت زغب مشاعري لأستشعر بذكوريتي، وتستشعر بأنوثتها. كأنها كانت عطشة لقبلة رجل، لخشونة رجل، وهي تترجم لي معاني أنوثتها.

فما كان مني سوى أن أطبق شفاهي على أسيل خدها، لأطبع عليه قبلة دافئة، اتقدت الوجنتان كجمرة ملتاعة تحت لتعة الشفة. فيما يدي اليسرى كانت قد غارت في ثنايا شعرها، أحنت رأسها نحو شفاهي. مالت نحوي برفق وتودد، أغمضت عينيها لتطبق الشفاه على بعضها، تركتها تغوص في عمق الفتنة تبحث عن اللؤلؤ والمرجان المكنون في عمق بحرها الطامي. بفيض من القبل عبثتْ بلوحة الوجه كيفما أشاء؛ قضمت ثمرة فتنتها وأنا التنقل بين الشفاه الندية والخد الريان ولحاء العنق. وكأني حين قضمت شفاهها قضمت شفاه زوجتي، للمحبة التي شاقتني بها. همت بها وهمت بي، أغشت ذاتي بعالم الخيال والنرجسية، بل أني هجست بها قد سقطتْ في مستنقع الخسة والنذالة والخيانة حين هزني الورع أخيرا.

بقدر ما ندمت على فعلتي؛ بقدر ما استلذذت بفتنتها. هجست بذاتي حرة في سماء الوله، كأنها خرجت من جنة التقوى لتدخل جنة الإغواء والشهوات والموبقات والعبث، شعرت بالأحاسيس تتناقض في داخلي، صارت تلهب زغب مشاعري برقتها وأنوثتها من جهة، واتقاد فتيل الثقة التي أودعتها زوجتي بي من جهة أخرى.

لم أكن أهجس بها غريبة عني إلا بعد أن غرقت بفيضها، وما كنت أنغمس بها لولا فيض مشاعري التي صورتها لي زوجتي. فعلا تداخلت المشاعر في مخيلتي، فحين قبلتها؛ لم أقبل سوى شفاه زوجتي، لم أنعم سوى باسيل خدود زوجتي. لذا بت اتحسس دفق الدم في الفؤاد والقضيب الذي ارتقى قمة ذكوريتي؛ حتى أني لم أدرِ متى أنتهى بنا المطاف، فلم أفق إلا على رغبة منها بعد أن سحبت شفتاها من فمي وعادت لجلستها الاعتيادية، شاكرة تحرشي بها...

بقيتُ على تلك الشاكلة مترنح في عالم من الرقة والأنوثة والخيال مدة من الزمن لن تحسب بالدقائق، فيها كنت مغمض العينين... بعدها عدنا نستلذ باحاديث الأعجاب والوله الجانبية، وكأنَّ شيئا لم يكن، كل ذلك حصل قبل أن يفيق صاحبنا من نومه، قبل أن ينبهنا قبطان الطائرة إلى ضرورة ربط الأحزمة استعدادا للهبوط بمطار أتاتورك.

حينها قالت لي وهي تبتسم برقة مع شروع الطائرة في الهبوط :..

- شكرا لك على ثنائك وقبلتك الحارة، أشعرتني بأنوثتي، كنت رجلا حقيقيا في تصرفك....
- كنتِ حمامة رائعة، أنت ملهمة، جميلة، فيك حيوية وشبق غريب رائع، يجب أن نتبادل أرقام الهواتف قبل أن نفترق، يجب أن يكون لنا لقاء جدي في إسطنبول لنخطط لمستقبلنا..
- وهو كذلك، سنمضي في خروجنا معا، وستكون ضيفي الليلة، ما رأيك؟.
- جميل منك هذه الالتفاتة..شكرا لك، أنت فاتنة.

حتى أني لم أدرك لحظة وصولنا التي دامت أكثر من ثلاث ساعات إلا على صوت قائد الطائرة وهو يحثنا على ربط الاحزمة، حينها صارت الطائرة تميل وتدور وتنحرف، تستقرأ بطيرانها مسارها للاستدلال على مدرج الهبوط، فشعرت بهبوط وارتفاع ضغط الدم وسداد طبلة الأذن من جديد، مثلما شعرت بذلك خلال الصعود.

في خروجنا من الطائرة كنا استقللنا نفس العجلة لصالة ختم الجوازات، وخلال وقوفي في طابور الغرباء القادمون، وقفت إلى جانبي في طابور أخر مخصص لأبناء البلد.

كانت إجراءات أبناء البلد سريعة، بذلك كانت قد أنهتْ ختم جوازها. توقعتها تنتظرني خارج الكابينة لنذهب سوية إلى المدينة، غير أني خاب ظني، حيث ما أن أنهيت ختم جوازي؛

حتى رن هاتفي في جيبي، فإذا بي أجد رقما غريبا، وعندما أجبت بكلمة:...

- تفضل.... من معي على الخط؟.

وإذ بصوتها النغام، الناعم، يخرج من الهاتف كطير يرفرف في هواء ظني، جال في خاطري، وهي تهمس في أذني قائلة بصوت ملئه شبق:...

- يا وائل!! عليك في المرة القادمة أن لا تجازف مع إمرأة، ولا تكذب عليها، ولا تنسَ أن تأخذ حافظة نقودك من استعلامات المطار، مع السلامة.

حينها تفقدت حافظة نقودي وإذا بي لم أجدها في جيب سترتي، والظاهر حين اندمجت مشاعرنا سلتت حافظتي من جيبي، بعد أن مدت يدها لتحيط بي، فاستولت على ما فيها من نقود، في الوقت الذي به كنت غارقا في أتون رقة الشفاه التي نقلتني لعام الخيال والعبث.

لم أحتار في كيفية معرفة أسمي ورقم هاتفي، حيث أني أحمل في حافظة النقود مبلغ ألف وخمسمائة وسبعون دولارا وبطاقة سيم كارت هاتفي، وهويتي، وصورة زوجتي. لقد كشفت كل أسراي التي حاولت أن أظللها بها.. كانت ساحرة بمعنى الكلمة، سحرتني وسرقت الحافظة.

حسنا فعلتُ بتوزيع المبالغ التي أحملها معي على جيوب ملابسي، وإلا كنت قد أفلست مقابل نزوة كادت أن تودي بي.

قبلة عابرة دفعت ثمنها ألف وخمسمائة وسبعون دولار في لحظة عبث....هههههههههه..صرت أضحك وألوم نفسي على الضريبة التي دفعتها مقابل تلك النزوة التي أرهقتني.

بعدها حاولت أن أهاتفها على رقمها الذي اتصلت منه؛ إلا أن محاولاتي ذهبت سدى، كأني كنت أحاول أن أعبث مع المستحيل، أظنه كان رقم طوارئ واستغلال فرص، ما أن أنهت مشوارها به رمته في حاوية النسيان.

لم تكن فتاة عادية، كانت في كل خطوة أخطوها تجاهها كانت تخطو خطوة معاكسة لها. تبعتني من حيث تبعتها، لعبت معي لعبة القط والفأر. بمواكبتي الظرف الذي هيئ لنا مستلزمات اللقاء، حسبت ذاتي قطا وأنا أقبلها، وإذ أكتشف بأنها فأرة بين يديها. اقتصت مني، واقتنصت ما كان يشغل بالها ويلهيها، مثلما اقتنصت ما كان يشغل بالي ويلهيني.

تلك الفتاة جعلتني أعيش في دوامة الشوق، جعلتني أراجع ذاتي لألا تتكر الحالة معي، جعلتني أضع حدا لشخصيتي أمام نضوج فكري، لأعود صاغرا لوفاء زوجتي.

أخيرا وجدت الحافظة كما هي، لم تأخذ منها سوى المبلغ الذي كان فيه، تاركة في جعبتي عصاها لتهطل بي متى أنحرف...

القوقعة

وأنا خارج من المطار باتجاه مرأب العجلات، صادف أن تتواجد قربي تلك الفتاة المعرة، سألتني أن كانت لي دراية بإسطنبول لاصطحابها معي، فقلت لها:....

- تفضلي أية خدمة؟
- ممكن أن أصحبك لمركز المدينة؟ أني لم أزر اسطنبول من قبل.
- لا ضير في ذلك على الرحب والسعة...

لقد وجدت فيها فرصة إذابة صفة الروتين والوحدة، ولأنسى احتيال سهير وما تركته في نفسي من عناء، متأملا أن اسلي ذاتي معها ليلة أو ليلتين؛ حتى أكمل إجراءات رحلتي القامة إلى المجهول..

بصراحة بعد أن طلبت مني ذلك؛ كأنها قد شطبت حالة عقدة سهير من صحيفة فكري، تلك التي شغلت فكري وقوضت رغبتي وسلبت قوتي في ديار الغربة.

مسكت يدها ودلفنا إلى المرأب لنستأجر عجلة لمركز المدينة، وبالذات إلى فندق ميرديا في وسط اسطنبول. حين لمست يدها؛ هجست بخشونة تحفر راحة يدها، كأني لامست يد فلاح الكراب لسعت بشرتها. لكنها لم تحرف فكري عن الغاية التي اتقدت في ذهني وبالذات حين وجدت في ساقيها شعلة براقة من الالق.

خلال الطريق قالت:....

- أني كنت جالسة خلفك بمقعدين في الطائرة.
- لم انتبه على وجودك..... هكذا اجبتها.
- لأنك كنت منشغلا بتلك الفتاة الجميلة التي كانت تجلس جانبك.
- ربما.
- لمَ لمْ تنتظرك؟..
- لم يكن بيننا موعد مسبق، ثم زوجها في المطار ينتظرها...

إذا كانت تجلس خلفي وشاهدت تفاصيل ما جرى من ود وتهامس بيني وبين تلك الساحرة سهير، تلك التي تأملتها زوجتي وحبيبتي. أي أنها راغبة في تكملة المشهد الذي تخلت عنه سهير على حين غفلة. إذا لابأس في ذلك، رغبتها تطابق رغبتي وأن كانت الذاكرة لازالت مرهقة بفتنة سهير. ربما اصابتها الغيرة، فأتحفت ذاتها لتكمل لعبتها.!

هي لا تختلف عنها من ناحية الجسد، لكن ملامحها لا توائم لطافة جسدها، حتى صوتها تهجس به يغدق بنغمة خشنة، فدرجة صوتها أقرب إلى نغمة الدو والري من نغمة الصول والسي الأنثوية المتبعة في السلم الموسيقي. فيما طولها وبروز صدرها وعجيزها وطراوة الساقين المغنجة تفيض بحيوية أنثى، أنها حقا من هذه الناحية مثيرة تلفت الانتباه. حينها ومن باب المجاملة سألتها:....

- لم أتعرف باسمك ومن أي بلد؟
- أنا مريم، أمازيغية من المغرب، لي فترة شهرين أعيش في تركيا... وأنت، ماذا عنك؟
- أنا سعيد، تاجر من الأردن.
- سعيدة بمعرفتك.....
- وأنا أسعد....

عجيب أمرك!!!، أنت سعيد أم عمر أم وائل؟؟؟؟؟؟؟ تتقلب حسب المواقف.

لالالا قد تكون أمجد أو حامد ومناف.....

وأنا أسير معها كنت حذرا جدا من أن أقع فريسة مآربها، كنت حريصا بأن أسحب حقيبتي وأحمل الأخرى الدبلوماسية بيدي، فهي خفيفة لم أحملها فيها شيء سوى اوراق خاصة وكتابين واشيائي الثمينة.

حرصت عن مكمن المال والمحفظة التي فيها أسراري، بحيث وضعتها في حقيبتي الدبلوماسية وأقفلت عليها برقمها السري دون أن أدعها تنتبه. فمن يدري ما ورائها، ربما لها مآرب سهير، قد تكون ظللتني باسمها وجنسيتها، هذه الايام الموضة جارية على هذا النسق مثلما ضللتها بنفسي.

وما هي سوى فترة نصف ساعة كنا قد وصلنا الفندق القريب من البوسفور، منظر خلاب، مريح للنظر، يشيع في النفس بهجة وسكينة، استأجرت غرفة ماستر بسريرين، وفي الغرفة بدأنا

نخلع ملابسنا وهي جالسة إلى جانبي، فهاجني الشوق لتلك المفاتن، فامتدت يدي على ساقيها وصدرها، وددت إثارتها بشيء من العبث لأرفع مستوى الشبق لديها ولدي لدرجة الاتقاد.

ثم انحرفت يدي إلى المواضع المحرمة، لتنحدر إلى فض لغز عجيزها ولين شحومها، لتنزلق إلى ثأدة الفخذين، إلى حيث مكمن الاسرار بين الفخذين، وما أن لامست مصباح الغريزة؛ حتى لسعت يدي حرارتها، فارتدت إلي شكيمتي، سحبت يدي بسرعة لأضربه بكفي على ظهره، صارخا بوجهه بكل قوة:....

- قم يا خنيث، هيا أخرج من هنا بسرعة؟.... أأنت ذكر؟ لعنة الله عليك، أنا ناقص قرف....
- لمَ تضربنِ، أنا مثلي، الله خلقني هكذا، لم أكن أنثى ولم أكن ذكرا، أن كنت راغبا سأكون تحت إرادتك...
- ألبس ثيابك وأخرج من هنا يا قذر قبل أن أخبر الشرطة.....

لبس ثيابه على عجالة، ثم خرج من الغرفة وهو يتمتم بكلمات لم أفقها، ردا على صراخي وزعيقي بوجهه، خرج مرتبكا، مهزوزا أشبه بالمسطول وهو يجر حقيبته خلفه.

كيف استطاع أن يغشني ويغش جميع من حوله في المطار، أنه أشبه بالعنكبة التي تجهد في اصطياد ذكورها وحشراتها. كيف؟.. كيف؟..

الظـاهر منـذ أن ألتفـتً يمينـا ركـز فـي نظـره علـيَّ وعلـى سـهير؛ كـان يبحـث عـن رصـيد لـه فـي عيـون الآخـرين، حينهـا شـككت بملامـح وجهـه الخاليـة مـن سـحر الأنوثـة، كانـت وجنتـاه وخـدوده مُعَفـرةٌ بـوافر النقـر، أشـبه بحصـير خـوص عبـث بـه مغـزل الحياكـة، نتيجـة تعرضـه للنتـف والكـوي وعمليـات التجميـل التـي خضع لها.

كمـا أنـه اسـتعار شـعر رأسـه، كـان يرتـدي باروكـة. كـان يحمـل معـه فـي حقيبتـه عـدة باروكـات احتيـاط وأدوات مكيـاج ومسـاحيق تجميـل وغلائـل ملونـة فاضـحة شـفافة للنـوم، وحمـالات صـدر وأنواع من البكيني بألوان طيف الشمس.

لقـد نفـخ الخـدود والشـفاه بمـواد البـوتكس والفلـر، نفـخ الصـدر بمـادة سـليكونية، نتـف شـعر جسـده، رفـع حاجبيـه بعمليـات التـاتو، ملـئ عجيـزه وأفخـاذه بالشـحوم مـن المـواد المسـتعارة ليبـدوا أقـرب للأنثـى مـن الـذكر، ركـب أظـافر مسـتعارة، لقـد عمـل الكثيـر الكثيـر من أجل أن يفتن به رجل.

يـاه....كـم كـان سـخيفا، كـم خسـر مـن النقـود والقيمـة والأخـلاق، خسـر الأهـل والمجتمـع وأشـياء كثيـرة، فعـل كـل شـيء مـن أجـل شيء مغروس في باله، من أجل أن.....أنه تافه - مريض.

تلـك العمليـات كلفتـه حياتـه وجيبـه ومسـتقبله، وفـي الأخيـر لـم يجـد فسـحة عـيش كريمـة فـي بـلاد المسـلمين..... يـا تـرى؛ هـل شـغل فكـره بمـا هـو أبعـد مـن جسـده؟ هـل تخيـل نفسـه بعـد أن تمضـي

سـنوات الشـباب كيـف سـيكون شـكله ومصـيره؟؟ كيـف سـيبدو فـي سن الستين والسبعين؟

الفندق

في زيارة سابقة لإسطنبول استأجرت غرفة في فندق السلام في منطقة سلطان أحمد كون المنطقة منطقة سكنية قريبة عن البحر، إضافة إلى وجود مسجد السلطان أحمد ومتحف آيا صوفيا فيها. أنها منطقة مزدحمة بالأسواق والأماكن السياحية، يجاورها سوق كراند بازار القديم في بيازت، ومرتع حديقة جولهانة المطلة على خليج البسفور.

حين ودعت زوجتي كانت قد تركت في ذهني عصا تأنيب الضمير، لتبطش بي بين الحين والآخر، متى ما زاغت عيني خارج أطر وقواعد الشرع والإنسانية، وخاصة في حالة الوحدة قد يتخطى الفرد حواجز العلاقة الزوجية.

تلك العصا جعلتني أرعوي من سلوكيات العبث والتخوير التي أحيانا أتعشق بها دون إرادتي، لفقداني السيطرة على انفعالاتي النفسية، نتيجة تكرار المواقف المغرية في حياتي. ربما هناك خلل في ميزان الفكر والعاطفة، ربما لغز ما يقحمني في معتركات تلك المواقف المخزية، شيء ما يبدو فوق طاقتي ودون إرادتي، وتلك هي العقدة التي أعاني منها.

وأنا في الفندق؛ كانت عاملة النظافة تأتي كل صباح بعد العاشرة، لتبدل الشراشف وأغطية الفراش وتنظف الغرف،

تمسح الغبرة عن النوافذ، تملأ قوارير الماء في الثلاجة إذا ما فضيت...الخ لتقضي في كل غرفة فترة نصف ساعة تقريبا حتى ينتهي عملها في الفندق بعد الثانية ظهرا، هذا هو ديدن عملها الروتيني المناط لها.

في اليوم الأول من سكني بالفندق كنتُ قد عطفت عليها بخمسة دولارات كبقشيش من باب الشفقة، صارت هذه العاملة كل يوم تأتي لتعتني بالغرفة أكثر من الطبيعي، ففي المرة الأولى كانت ترتدي بجامة رصاصية أشبه بتلك التي يرتديها عمال النظافة من الرجل، فلم تشغل بالي مفاتن جسدها أبدا.. في اليوم التالي والتالي صارت ترتدي تنورة سوداء قصيرة جدا فوق الركبة، على الرغم من تجاوزها الأربعين من العمر؛ كانت ذات انيار واضحة، محتفظة بحيويتها وألقها؛ حتى أني حين صرت أدقق بسيقانها وخورانها لما تحمله من فتنة وسحر، وبالذات حين تحني جسدها أمامي بحجة التنظيف وهي تمسح الغبرة عن الاثاث والمرآة والتي لا أرى فيها وسخ. جعلتني أنبهر بسيقانها، شدت نظري جاذبية ثأدة الأفخاذ، كما لسحبة سيقانها فتنة أخاذة أذا ما أخذنا في الحسبان طولها الممشوق، كانت تقاربني في الطول، وذات رشاقة قل نظيرها قياسا المرأة.

كنت أهجس بها تحمل في عجيزها فتنة مزهوة، كحسان عارضات الأزياء؛ خاصة حين تتبختر في مشييها مع انعكاس لون السواد على ألواح ساقيها البضة، فترهف الروح الملهمة بالوصف، فالجاذبية المنبثقة تبرق كلمعة الكريستال حين تنعكس أنوارها في الحدق.

لفتنة فخذيها الثأدة، صرت ألتمس السحر المغنج بهنَّ، جعلتني أتوه بأسرار الرغبة الجامحة التي انتدبت في مكمنها. جعلتني أنحدر في فكري نحو هوة المتعة ، كأني نسيت عصا الضمير التي تركتها زوجتي في كنفي، تلك التي أجلد بها الذات متى ما انحرفت.

أخذني الخيال بعيدا إلى عمق الصورة، إلى اللون والريشة السليطة، إلى النغمة الهادئة في ذلك العزف الذائب في مغريات تقاسيم الجسد وحركة الساقين، حتى أني نسيتُ ذاتي في شراسة تحديها ضميري، انحدرت سريعا لهوة المشاهد الحية، لأندمج في تفاصيل المشهد وحواراته كممثل بارع. صرت أبحث عن لغز الفتن وما تحت التنورة من لؤلؤ ومرجان. بت اتأمل صدفيتها وأنا أسبح في تلك الموجة العميقة من لدانة الفتن دون خجل.

هكذا صرت أغور في بحر الخيال، التلمس خط العجب من الشفق المنحدر فوق ذلك الجسد، ففي الوقت الذي كانت تطيل البقاء في الغرفة بقصد واضح، كان الخيال يسرح بي فوق مروج مفاتن الجسد. أصبحت في وضع مقلق لا أحسد عليه، لن أستطيع مقاومة عناكب الشهوة المثارة فوق شهد تكور عجيزها، بحيث دار المشهد في خلدي ككامرة متحركة ترصد هواجسي ومشاعري والتشنجات التي صارت ترتفع وتيرها. لقد توسعت دائرة الوله في ذاكرتي، لتغطي مساحة الفكر والرغبة الجامحة في قلبي. سيطرت على أهوائي وعقلي، جردتني من إرادتي،

بت أشعر بالعجز حيال الصبر المر. بأسلوبها الوقح حركت في داخلي سلوك الولدنة والمشاكسة.

صرت أقْبِلُ على تتبع الصورة، متبعا تلك الفتنة من الجاذبية بشيء من الرعونة، زاغ الفكر في بحر الخيال، رحت أقَبْلُ تلك الساقين وأنحدر بها نحو واحة العبث، حتى تخطت ذاتي حد الشك. أضحت الصورة أكثر وضوحا وإشراقة لي مما تخيلت، زال غواش العث عن أعياني. بت أنظر إلى قدرية وجودي ومن زاوية الفرصة المتاحة، متبعا سر اللمعة في فج الغواية؛ حتى التمست مشاعري جمرة الوله في أستها، كانت قد أتقدتْ نارا حين لامستها راحة يديَّ.

انحدرتُ إلى وهدة الإغواء، كانت لحظة نسيان واستدلال وانحلال وتصالح مع النفس الأمارة بالسوء، فاختلج الفكر بعريها؛ حتى أعرت قدري وأخلاقي ودماثتي من يقيني، بحيث بتلك اللحظة لم أعد أرى شيئا، سوى مفاتن حبيبتي متمثلة بين راحة يديَّ، حسبتها زوجتي، وكأنها حضرت لتطفئ نار الشبق الثائرة بأعماقي.

كانت لحظة غثيان ونسيان، فيها تركت يديَّ تبحث عن الحمامة النائمة في أيكها، لم أدرك حالي إلا ويدي تمتد سرا إلى سرائرها، لتلامس نعومة البشرة الملداء في الساق والعجيز المتقد. جسدا خضلا بشيء من الشبق والرعونة، كانت يدي قد امتدت برهافة إحساسي، لتلسع الرغبة الجامحة المدفونة في خاطري..

مـع ملامسـة يـدي طـراوة عجيزهـا؛ التفتـت نحـوي وفـي وجههـا ابتسـامة صـفراء تـنم عـن خجـل أصـاب شخصـها، وكأنهـا رقـت لخشـونة يـدي ومـداعبتها، كـأني أثنيـت علـى تلـك الفتنـة التـي أغوتني بها، لتنفذ لأعماقي كحقن تخدير تغزني بها..

مـا أن لمسـت ذهـولي بهـا؛ حتـى عضـت علـى الشـفاه بـالبرد وهـي تنظـر إلـى بعـين مـومس زائغـة، وبغـنج عطفـة غانيـة، تنظـر إلـى مـا وصـلت إليـه روحـي الأسـيرة مـن انحـدار استشـط فـي أوجـار الرغبة، إلى حركة الوتد النابض بين ساقيَّ..

وأنـا أنظـر إليهـا، هجسـت قـد أوطـف طيـف زوجتـي ملامـح وجههـا، صـعقتُ مـن المشـهد وهـي تنظـر إلـيَّ بعـين العجـب، شـعرت بعصـا الضـمير أَوْهَطَـت جسـدي، أعـادتني لعـالمي الجميـل، لواقعي السليم.

ياه.... ترى أين ذهبت في سفهي؟.....
أين انحدرت؟...

حينهـا نزعـت الغشـاوة عـن حـدقي، بعـد رعونـة أودت بـي إلـى وهـدة الخسـة، وأن لـم تـدم سـوى لحظـات؛ إلا أنهـا جزلـت عنـي قيـافتي، فلـم أعـد لـذاتي الحقيقيـة إلا بعـد أن لسـعتني عصـا تأنيـب الضـمير. هجسـت بهـا قـد شـعرت بغبطـة غطـت رمـق عينيهـا، أخـذتها بعيـدا، أشـعرتها بقيمـة نفسـها وبحيويـة مفاتنهـا، أشـعرتها بانها لازلت فيها فتنة تفتن بها الشباب.

أخذتني الحيرة بها مثلما احتارت هي بسلوكي. لكنها كانت لطيفة معي، بحيث لم تغضب، ولم ترتعب، ربما الخمسة دولارات جعلتها تكون لطيفة معي، ربما شغفها بي هو الذي جعلها ترتدي تنورة قصيرة لتغويني بمفاتن جسدها. ربما شعشعت رغبتها بسلطان الجنس، فودت أن تجدد حيويتها معي، ربما هذا هو كارها وأسلوبها مع زبائن الفندق، وبالذات مع فئة الشباب من الغرباء...

ربما الفقر دفعها إلى ذلك، للحصول على ما تستطيع جمعه من مال تسد به رمق العيش، تسد ثغرة من ثغرات الفاقة الدائرة في المجتمع التركي... كل تلك الأمور جائزة....

لكنها فعلا شغلتني بلطف سيقانها، حتى أني نسيت ذاتي عندما امتدت يدي لعجيزها، نسيت أنها امرأة عاملة، كانت لحظة غثيان وصبابة في غير محلها..

تلك هي حالة لا أعرف تفسيرا لها، ربما هي حالة مرضية أو شيزوفرنية تمج الخيال بالحقيقة، فتدخل في صلب الاحساس والمشاعر، فتنقل الفرد من حالة الوجود لحالة التيه، لغياب تام للإدراك. صار هذا التكرار يزعجني، يؤرقني، وفي نفس الوقت يلهيني، ينسيني ضغوطات الزمن، يسبب لي حالة ارباك باستمرار.

ربما الوحدة دفعتني الى تقمص الحالة، ربما عقد الحياة وزحمة الأفكار حثت سفهي إلى التحرر. ربما ضعف الإيمان

ونقص الدين الذي أتصف به جزل عقلي، زلني... كل ذاك تجمع على ذهني كالهوام الطريق، أنستني حقيقة ذاتي وقدري.

إذا جنح الفكر، لينحرف إلى واطئة السفاح، إلى لحظة التسامي والانصهار بتلك الفتنة المكورة في كفلها، كأنَّ الأمر قد فرض عليَّ، بحيث صار خارج مساحة العقل والتفكير والإرادة، حالة تقيدت بها بقيد الغريزة.

كأنَّ الذي دفعني إلى تلك الحالة من اللمم؛ هو ذلك الفراغ الذي وطأ عالمي ووصم فكري بالوحدة والجنون، بحيث صار يرفع من غيي ويلوث ذهني بمعطيات محيطي. منذ لحظة فراق زوجتي وفكري منشغل بها، أضحت الحالة أشبه بحقنة تغز ذاتي بإبر تخدير مع كل جميلة تصادفني، حتى جعلتني لا أميز بين الطيب والطيب من عالم الأنوثة.

ربما أقنع نفسي بتلك المبررات، ولكن فعلا أني لم أستطع مقاومة المغريات الدائرة حولي، حتى أني أصبحت في حالة ضعف غريبة، تكسرني المواقف بسهولة، أهجس بها حالة مريضة. ربما أنا فعلا مريض ولا أشعر بذلك، بحيث بت أشك بطبيعة سلوكي الهمجي. صار التنافس على أشده بين الأنا العاقلة والذات المراهقة في تقييم سلوكي.

على أية حال حين التفتت إلي قالت:...

- يا سيدي أن كنت ترغب بذلك؛ عليك أن تدفع لي خمسون دولار، سأكون تحت إرادتك.

حينها شعرت بعصا الضمير توهط جسدي، تركت أثر سخطها على القلب والذهن؛ كش الجسد وغار القضيب في مخبئه. بت أنظر لوجه تلك العاملة بشيء من الخجل وتأنيب الضمير، كأني أصبت بفزع وخوف، جعلت أمري بيد الأنا العاقلة لأعالج تقرحات السخف التي طفحت في فكري، والتي تركت ملامح الوجه تتأسف لها عن كل بائنة.... حينها قلت لها وفي وجهي ابتسامة صفراء تنم عن خجل واضح:....

- أسف يا سيدتي: تخيلتك زوجتي فنسيت ذاتي، هذه الأعمال ليست من شيمي، شكرا لك.

حينها استخرجت من محفظتي عشرة دولارات ووضعتها في يدها وأنا أعتذر منها، صارت تنظر إليَّ بحسرة، لأني رفضت عرضها بعد أن شهدت يدي على رغبتي بها. حينها خرجت من الغرفة دون عودة.

بعد خروجها بقليل، ارتفعت مآذن المساجد وهي تدعو في نداءاتها المؤمنين إلى للصلاة، لحظة إيمانية جالت في الفضاء، وكرت على وتين القلب، لأغسل النفس من الآثام، ولأعاملُ الناس بالتي هي أحسن.

حينها اتجهت للمسجد لأضع ذاتي بيد الله وأنا أشعر بانكسار وضعف أمامه، كمن لزم الصمت لمشواره القادم.

العقربة

كثيرة هي الأحيان التي أجد بها ذاتي مسيرة في خياراتها وليست مخيرة، بت أخاف على نفسي من شرودها وشرورها، من أن تزج بي في وهدة عقد ومطبات لا طائل لي بها.

لرهافتها بت أخاف تجني أي فتاة أصادفها في الطرق، لذا حين رجعت للفندق، بعد أن عشت فصلا دراميا مع كرستينا البلغارية وهي تتسكع في شوارع أثينا، بعد أن أولغها السكر في عالم الغي والعبث، تفاجأت بأخرى أشد فتنة تجلس في باحة الفندق، وكأنها على موعد معي قبل أشد الرحال إلى السويد.

في باحة الفندق كانت تجلس سيدة ثلاثينية غاية في الرقة والجمال، قابعة على كرسيي منفرد، عينيها شاردتان نحو مدخله، ترتدي بلوزة شفافة سوداء نصف كم، تحلق رقبتها بسلسلة ذهبية معقودة بصليب صغير يفتن صدرها البض، بحيث يرفأ في وادي النهدين ببروز واضح، لضغط رف حمالة الصدر من الجانبين والأسفل عليه.

لسحرها؛ هجست للنهدين ألسن تحاكي شبق العين بجدل فاضح، بالذات حول تكور الحلمتين وطراوة الهضبتين. كأنها تود أن تتشبث بعنق الداخل للفندق، كانت قد لسعتني من النظرة

الأولى، مع تخطي عتبة المدخل، عقربة أفرزت سم فتنتها بالجسد، لما فيها من سحر وجاذبية.

هجست بالصليب كطائرة جاثية في مدرج المطار. تمنيت أن أكون بذاتي ذاك الصليب لما لتلكم الأثداء من تفلك ولدانة. بحيث ما أن دخلت الفندق؛ حتى استقطبت نظراتي شكلها المفذلك، جعلتني اتحرى عن لمعة الصليب، عن فيض السحر المحيط به والمنعكس منه. كأنه أرسل لي إشارة استغاثة، لأنتشي ضوء ذلك السحر قبل أن أستسلم للقدر، قبل أن تجعلني أميس إلى تلك النهد بحرشة من الفكر والقلب تفقدني صوابي.

من خلال جلستها على كرسيها، علمت بأنها ليست على ما يرام، كمن يكمن في صرتها قلق ما، هجست بها مهزوزة، حائرة، كفراشة تحاول تجنب ريح يستفزها قبل أن تستقر على الوتد، تخفق بنظراتها، سر ما شاق ظرفها جعلها تستغيث بمن يدخل الفندق.

لانبهاري بها هجست بها وكأنها تحمل بعطفة صدرها قطتين من الفراء الفضية، تداعبان قميصها اللدن. بذاتي وددت مداعبة تلكم القطتين بالفطرة، لما فيهن من جاذبية.

كانت الفتاة منعزلة بوحدتها، كأنها تنتظر شخصا ما. لذا حين دخلت الباحة؛ التفتت عليَّ راجية أن أجل عنها ذلك العناء والعبث، أن أجيبها عن سؤالها، حيث قالت:...

- ممكن أستخدم هاتفك للحظة، كأنَّ هاتفي قد فض شحنه.

استجبت لها بسرور وعيني منصبتان على طراوة الثديين، فقلت لها والرغبة جامحة في ملاطفتها:....

- تفضلي يا سيدتي....

أخذت الهاتف وفي ثغرها ازفت ابتسامة لطيفة، صارت تطرق رقما ما مسجلا على ورقة في حافظتها، في محاولتها المكررة لم تجد استجابة آنية، كأنَّ الهاتف المراد حثه يعلن عن ذاته خارج نطاق الخدمة الشبكية... حينها كنت أنظر بنهم لتدفق مفاتن صدرها، تلك التي لم تزغ حدقي عن نضارتها.

بقيتُ شاخصا كالوتد، أعاين على فراء القطط المخفية تحت حمالة الصدر، طافت بأروقة الفتن بشيء من الجرأة وعدم المبالاة، شعرت بأني دغدغت زغب مشاعرها، وكأنها انتبهت للحظة على فجاجتي، لكنها بقيت على رصيدها ووضعيتها دون مبالاة، لم تغير من شكل جلستها، هكذا تراءت لي كحمامة تخفق بسماء الوله.

لا أدري أن كانت قد أدركت ما كان يجول في خاطري أم لا؟ ولا أدري أن كانت تعمدتْ إبراز مفاتن صدرها أم لا؟ ولا أدري أن كانت بذاتها تهجس راحة بسلوكي وعبثي أم لا.. لكنها تصنعت اللامبالاة..... وبعد تكرار محاولتها أعادت إليَّ الهاتف دون أن تنجح محاولاتها، حينها قالت لي بلكنة إنجليزية:..

- شكرا.... الهاتف لا يشبك.
- هل من خدمة ممكن أن أسديها أليك...

- تـأخرت عـن المطـار وسـائق التكسـي الـذي تواعـدت معـه لا يرد، وأني أخاف أن تقلع طائرتي.
- متى موعد طيرانك؟
- بعد ساعتين.
- جميـل جـدا؛ أنـا خـلال عشـرة دقـائق أغـادر الفنـدق للمطـار، علـى قـدر تهيئـة حقيبتـي، أن كانـت لـك رغبـة بمرافقتي أكون سعيدا بذلك.
- عظيم، شكرا لك، إذا أنا بانتظارك..
- وهو كذلك.

تركتهـا وصـعدت لغرفتـي لأضـب حقيبتـي، وقلبـي المسـكين خـرج عـن طـوره، مـا عـاد يبطـل اضـطرابه، ظـل فـي سـره يخفـق بفتنـة تلـك العقربـة، يسـرد جنونـه لهـا كآلـة المـورس، وهـو يطـرق أذنـيَّ بسرعة نبضاته الخلجة، مستفسرا:....

- تـرى لِـمَ لـمْ تستعن بأحـد أفـراد الفنـدق وهـؤلاء الزبـائن مـن الـزوار قبـل أن أدخـل للفنـدق؟ ؟ هـل فتنـت بـي، أم القـدر قادني إليها؟....

سـؤال صـار يغـز فكـري، يحـرف ذهنـي، يـدور فـي رأسـي كطـائر الصقر، يزرع الشك في قلبي وأنا أضب حقيبتي.

فـي الحقيقـة لـم أنتبـه علـى مفـاتن وجههـا إلا بعـد أن عجـزت عـن مهاتفـة سـائق التكسـي، حينهـا رفعـت رأسـها وشـكرتني وفـي حـدقات عينيهـا نظـرة رجـاء، لـم أفهـم لغزهـا فـي حينـه، لكنـي كنـت سـارحا فـي لطافـة تكـور عنـاجر النهـدين، تلكـم اللاتـي شـغلنني عـن

عـالمي، نقلننـي إلـى حيـث الصـمت والولـه. لخمريـة بشـرتها الملسـاء و بريق عينيها السوداء.

لـم أخفـض نظراتـي عنهـا قـط، ولـم أخجـل منهـا قيـد شـعرة، لقـد ركـب الجنـون ذهنـي، وكـأني صـرت لا أهـتم لمـا سـيبدو منهـا أو سـيدور بيننـا، وخاصـة بـذاتي كنـت جانحـا فـي فكـري خلـف المجازفـة، لحظـة كنـت بهـا زاحـف إلـى المطـار... لحظـة هجسـت بهـا ذاتـي بليـدة، غيـر مهـتم لمـا سـيجري وسـيؤول. واقـف أمامهـا كشـاخص سـليط لا يهتـز، أبغـي أن أسـمع منهـا صـوت القـدر، وكـأني اكتسـبت الجـرأة مـن (النايـت كـلاب)، مـن ليلـة أمـس التـي شحمت فكري بالغي وعدم المبالاة.

مـا أن شـكرتني حتـى انتبهـتُ علـى مفـاتن وجهـا، تلكـم المفـاتن التـي أوحـت إلـيَّ بعذوبـة سـحر الشـرق، وصـفت لـي ربيـع المفـاتن، وجـدت فـي سـواد عينيهـا المسـحوبتان ألـق واضـح. فـي شـعرها الفـاحم أناقـة تواكـب قزحيـة العـين. لأنفهـا طلـة جبـل شـامخ علـى الـوجنتين والشـفتين، يضـفي كاريزمـا جذابـة علـى مسـاحة الوجـه، تـوحي للنـاظر بشـيء مـن الأبهـة والكبريـاء. كمـا تعنـى بفـم مـؤطر بشـفة واسـعة، مغنجـة بطفـح قرمـزي داكـن ملؤهـا حيويـة. خيلـت إليَّ من دول البحر المتوسط.

وحـين وضـبت حقيبتـي ونزلـت للصـالة، إذ بهـا تنظـر إلـيَّ نظـرة توسـم، يكتنفهـا شـوق ورجـاء. لمسـت فـي حـدقات عينيهـا تعـابير ولـه شـيطانية مشـظة، تتقصـد قيـافتي وشـبابي. هالـة غريبـة مـن الجاذبيـة وشـحت قامتهـا، وهـي تقـف بجـوار كرسـيها، تشـعر بهـا كأفروديـت

أثنـــا، تضـــفي علـــى شخصـــها جاذبيـــة ســـاحرة، لرشـــاقتها وجميـــل قوامها الرشيق..

لاحظـت ذلـك وجعلـت ذاتـي غيـر منتبهـة، أغشـيت مشـاعري تمامـا. قبـل أن أدخـل الفنـدق كنـتُ قـد اتفقـتُ مـع سـائق تكسـي أن ينتظرنـي أمـام الفنـدق ليقللنـي لمطـار أثنـا، كانـت لـوازمي الشخصـية قـد جمعتهـا مسـبقا فـي حقيبـة صـغيرة سـوداء، سـوى أدوات الحلاقـة وفرشـة أسـنان دسسـتها فـي جيـب جـانبي، ثـم حملتهـا علـى كتفـي... وحين أدركتها؛ وجدتها تزيدني طولا بقدر نفاش شعر رأسها.

اسـتقبلتني بلهفـة وبابتسـامة سـاحرة، سـحبتْ حقيبتهـا الحمـراء التـي كانـت قـد أخفتهـا خلـف كرسـيها، وهـي حقيبـة متوسـطة الحجـم لا تزيد عن حجم حقيبتي.

خرجنـا مـن الفنـدق معـا، توجهنـا إلـى عجلـة التكسـي التـي كانـت تقـف إلـى جانـب مـن مـدخل الفنـدق. ركبـت إلـى جـانبي فـي الكرسـي الخلفـي، هُـيء لسـائق التكسـي الـذي لا يجيـد الإنجليزيـة بأنهـا زوجتـي. فـي مشـوار الطريـق كنـت قـد تعرفـت عليهـا ومسـكت يـدها وعصـرت أناملهـا التـي كانـت بنعومـة فـراء القطـط، حاولـت أن أقبلهـا، لكنـي تـذكرت عصـا الضـمير التـي تركتهـا معـي زوجتـي علـى حـين غفلـة، وكأنهـا هفتـت علـى رأسـي، فتجنبـت المجازفـة هذه المرة.

الفتـاة مـن أصـول إيرانيـة، متوجهـة فـي رحلتهـا إلـى ألمانيـا، حيـث تعمـل موظفـة فـي شـركة سـيارات مرسـيدس المعروفـة منـذ ثـلاث سـنوات، كانـت فـي جولـة سـياحية فـي دول السـاحل المتوسـط، حيـث

ابتدأت من إسبانيا وإيطاليا ثم اليونان، أما مسألة الصليب فأنه لا يعني لها شيء، أنه مجرد موضة ولا يدل على حقيقة انتمائها للدين المسيحي، حتى أنها لا تهتم لإشكاليات مسألة الدين بشكل عام، ربما تكون مجوسية المذهب أو ملحدة، ربما أدعت المسيحية لتمنح إقامة في أوربا، التي تخفي تحت قناع الإنسانية وجهها العنصري..

خلال الطريق كنا قد تبادلنا أرقام الهواتف فيما بيننا، قلت لها وأنا أبغي وصلها ونيلها:..

- جئت لأبحث عن استقرار في أوربا، سأجرب حظي في السويد يا ليلى، في حالة عدم توفيقي، سأحاول الكرة في ألمانيا لأكون قريبا عنك.
- السويد بلد استقرار، ألمانيا بلد عمل، لكن لا تظن أن تجد راحة بال بعيدا عن الوطن الأم، ومع ذلك سأكون في خدمتك متى قدمت يا وائل.
- أن شاء الله.

حين وصلنا المطار ودعتها وكلي أمل أن ألتقيها يوما ما، وقبل أن تفارقني طبعتْ على خدي قبلة، فيها من الحرارة واللاذعة ما تجبرني على تغيير وجهتي، ولكني كنت محكم بتذكرة السفر، وجوازي المزور الذي اقتنيته من صاحب المقهى أنفا.

القبلة تركت أثرا على الخد، كالرصعة، صعب أن اجيلها إلى النسيان. بت أتلذذ لسعِها ودفئها، باحثا في غنجها عن الأمان. ملؤها عذوبة وشبق، تشهق بطيب أنفاسها كزهرة الجنان...

حينهـا أعـدتُ لهـا قبلتهـا بقبلـة علـى الخـد والشـفة المغنجـة؛ حتـى استمالت بنا الأشواق لغاية التجني، حينها أسرتها قائلا:.....

- لك شفة من نار وصدر من مرمر لجماله وسحره.
- شكرا لإطرائك...
- لا أظـن أطيـل البقـاء فـي السـويد، قبتـك هـذه سـتقودني أليـك قريبا.
- وأنا سأكون بانتظارك.

قالتهـا ومضـى كـل منـا لوجهتـه، بقيـت نظراتنـا تلاحـق بعضـنا، وبقيـت تلـك القبلـة التـي شـطت الـروح تسـتعر علـى الخـد، تفـيض حافظـة الـروح إلـى مهـاوي نهـديها. كـأني لـم أرَ أنثـى بفتنتهـا قـط، بقي طيفها يدور في فلكي، كاللمعة الذائبة في ثنايا الثدي.

مـع وداعهـا كنـت قـد أغلقـتُ رتـاج الـذهنِ والقلـبْ عـن جميـع النسـوة مـن حـولي، بقيـت أعـيش خيـال صـمت وذهـول، وأنـا أقطـع تلـك الأجواء الغائمة، متأملا أن التقيها ثانية.

أميرة؛ حتى في نظراتها - تبدو مثل الشمس في الأفق

ما أن يميل بها الهوى - تعصف بحشا القلب والحدق

أهجس بوهج في وجهها - يطرق ظني كما هو الودق

الكرونا

بعد أن فقدنا مأربنا وآمالنا في السويد؛ اتجهت لألمانيا على أمل أن أجد فرصة استقرار أعوض بها سنوات الضياع التي ذهبت هدرا في مستنقعات السويد، عسى أن نظفر بالحلم ونرتب أمورنا ونلملم شملنا ونعيش براحة بال.

غادرت السويد مع مجموعة من هم على شاكلتي من منفذ مدينة تلبوري السويدية إلى مدينة ترافومونـدا الألمانية بواسطة الباخرة، ليستقر بنا المقام في مدينة كيمنتس في مقاطعة سكسونيا.

في كيمنتس تجددت العقد علينا بسبب تعقيد الإجراءات التي تتعامل بها المانيا، وخاصة مع تفاقم جائحة مرض كرونا الخبيث، حيث أجريت لنا عملية فحص وحجر صحي دام أسبوعين، في ظل طقس سيء للغاية.

ما أن دخلنا مدينة كيمنتس الألمانية؛ حتى حجرونا ليومين في ثكنة عسكرية صغير تمهيدا لنقلنا لموضع آخر بعد أنهاء إجراءات فحص الكرونا وبيان نتائجه.

كنا قد تجمعنا في الثكنة من عدة جنسيات مختلفة، وقد بلغ عددنا بحدود ثلاثين شخصا بين إمرأة ورجل وطفل. في اليوم التالي بدأت إجراءات الفحص والفرز تأتلف على قدم وساق. كانت

إجـراءات سـريعة جـدا قياسـا لمـا يجـري فـي المنـاطق الأخـرى، ولكـن لكثـرة أعـدادنا، يضـطر الـبعض منـا إكمـال مـا أتمـه فـي اليـوم التالي.

مـا أن دقـت السـاعة السـابعة صـباحا؛ حتـى صـرنا نسـمع طرقـا سـليطا علـى ابـواب الغـرف مـن قبـل مشـرف الكامـب وهـو يحـث المهـاجرين علـى الاسـتيقاظ واسـتنباط العزيمـة، لغـرض تجهيـزهم لـدائرة الفحـص المفـروض بـدئها فـي تمـام السـاعة الثامنـة والنصـف صـباحا، والتـي مقرهـا لا يبعـد عـن الثكنـة سـكنانا سـوى مسـافة 200 م فقط.

كان المشرف يطرق الأبواب وهو ينادي بأعلى صوته:...

- هيـا – هيـا أصـحوا - أجلسـوا، صـار وقـت الإفطـار، جهـزوا أنفسـكم لفحـص الكرونـا، هيـا أجلسـوا. وكأننـا فـي معسـكر للجيش.

كنـا قـد وصـلنا لـذلك الكامـب قـادمين مـن مختلـف أنحـاء المانيـا، قـاطعين فـي رحلاتنـا مسـافات طويلـة مـن غربهـا لشـرقها، هنـاك مـن قـدم مـن الشـمال وآخـرون قـدموا مـن الجنـوب والغـرب، كنـت قـد قطعـت مسـافة تجـاوزت خمـس سـاعات مسـير بواسـطة القطـار، قادمين من مدينة بريمن.

النقطـة التـي تجمعنـا فيهـا أشـبه بثكنـة عسـكرية مكونـة مـن عشـرين غرفـة متقابلـة، بينهمـا ممـر ضـيق بعـرض متـرين. الغـرف مجهـزة مـن الخشـب، مطليـة بصـبغ البويـا الأصـفر، المكـان يسـتخدم كثكنـة

مؤقتــه لتجهيــز أوراق المهــاجرين القــادمين حــديثا، ليــتم تــوزيعهم إلى أماكن أخرى.

كـان تجمعنـا أشـبه بباقـة ورد مثلـت جنسـيات مختلفـة، كـل منـا جـاء مـن منطقـة نائيـة، لـم يأخـذ كفايتـه مـن النـوم والراحـة. الثكنـة قـذرة بأسـرتها وحماماتهـا لكثـرة اسـتخدامها، لـذا تجـدنا فـي دواخلنـا مقـرفين مـن الحالـة ومـن طريقـة المعاملـة الجافـة، ولكننـا كنـا مضـطرين لقبـول الواقـع علـى اعتبارهـا فتـرة تجهيـز. تـرى أحـدنا أشبه بالمسطول، لا يستطيع حمل وزره.

بعـد أن فطرنـا وقفنـا فـي طـابور طويـل، تقـدمنا مشـرف الكامـب متوجهـا بنـا لغرفـة الفحـص الكائنـة فـي المبنـى المخصـص لـلإدارة الأمنيـة والفحـص الطبـي، المكـان مسـيج بسـياج حديـدي مرتفـع بعلـو ثلاثة أمتار، محكم، أشبه بسجن المجرمين.

دخنـا المبنـى وتوزعنـا علـى صـالتي المبنـى المتقـابلتين، أحـداها كانـت أكبـر مـن الأخـرى، ارتمينـا علـى كـراس خشـبية كالمرضـى الـذين أجهـدهم العيـاء. كانـت قـد سـبقتنا وجبـة أخـرى إلـى ذات المبنى ولذات الغرض.

كانـت مسـألة الانتظـار مسـألة عقيمـة، جدليـة، تعـد غايـة فـي الصـعوبة وبالـذات للشـخص المرهـق، الـذي لـم يتـنفس الصـعداء ولم يستكين لراحة بعد جهد السفر الشاق.

فـي الصـالة سـرحنا فـي جـداء الـزمن، بعـد أن طرحنـا أنفسـنا فـوق تلـك الكراسـي الجلـدة، التـي أكلـت مـن طـراوة أجسـادنا شـحومها

ونعومتها. كراس صلدة من خشب الزان الجلد، حتى صرنا نشعر بـ سوفان العظم نتيجة طول فترة الانتظار حتى يحين دورنا للفحص.

خلال فترة الانتظار الطويلة والتي امتدت من الثامنة وحتى الثانية عشرة ظهرا لينادوا على أول أسم من مجموعتنا، كانت اللجنة المشرفة منشغلة بفحص المجموعة التي سبقتنا. في تلك الفترة شغلت بالي بالمحيطين بي وبمجموعة رجالات الأمن المشرفة على تسليك إجراءات الفحص. كنت أتمعن بكل الأشخاص بشكل غريب، أدقق في هياكلهم ووجوههم ولباسهم بشيء من الفضول الزائد، وكأني أخطط في داخلي لكتابة مسرحية أو قصة ما من هذا القبيل، كنت أبحث في ذلك الجمع عن لغز يثير فكري، ينعم تفكيري، عن شيء يلهيني ويسليني، ينسيني غربتي، ينقلني من جو الكآبة لجو أكثر قبولية. وددت أن أعدو وسط تلك الأجواء الموشحة بالعناء والوحشة، لقطع المسافة المملة من الروتين الممل التي جزلت فكري وطباعي. وددت أن أعود لطفولتي وبراءتي التي افتقدتها في جوف ذلك الفراغ.

كأني من خلال الملاحظة سلكت طريقا يعيد إلي بعض بهجتي وبشيء من الفتنة والعبث والتغيير، حتى هجست ذاتي قد ترفعت عن الذوات المحيطة بي، كأني تخطيت حاجز الروتين بقدر خطوة.. لذا سجلت ملاحظاتي عن كل الذي شغلوا ذهني وأثاروا انتباهي في تلك الصالة.

كانت تجلس قبالتي فتاة ألبانية رقيقة لا تتجاوز العشرين من العمر ترتدي بجامة وردية ناعمة من قماش القديفة، حسنة الملامح والطول، لكنها باردة الدم.. لم أشعر حيالها بجاذبية قط، رغم بياضها وحسن ملامحها وشعرها المذهب، إلا أن البرود الكامن في دمها غطى على محاسنها. هذا ما لمسته في محياها وما طفح في سكونها... فيما كانت تجاورها فتاة أخرى شديدة السمرة من الكونغو تبدو ببشرة أخاذة، متقدة كشعلة لهب، لما في بشرتها من جاذبية فتاكة توافق خشونة جسدها وتقاسيمه، رغم شراسة ملامح الوجه، والكدر المصبوب على كاهلها، ربما لطويل مشوار سفرها؛ إلا أن لها لدانة والق واضح.

نتيجة ارهاقها تمددت متراخية على كرسيها، شالخة الساقين، فبان جسدها يشع فتنة. جسد ثري، مبهج، ريان، مغنج بالعذوبة والحيوية. لرشاقة الساقين والبريق المخفي في ثأدة الفخذين والفتنة في بروز الثديين المنتبذين بالبهاء كرمانتين تفتنان الصدر تحت وشاح قميصها الشفاف، كل ذاك يجزل المقارنة بينها وبين الألبانية، فبانت بحالة سحرية جذابة.

هذه الفتاة كانت بعمر الورد، لم تكمل جامعتها، تركت دراستها وانحدرت خلف إشاعة الفرص خلف الهجرة، بحثا عن الراحة التي أهجس بها تماهت خلف ذرات ثلج ساكسونيا. تلك الامنيات ذرتها الرياح التي لم يتوقف صفيرها منذ أن حللنا في هذه البقعة، تماهت في سدم القرارات الجائرة والعقد التي يتصف بها الالمان، فهم في تعاملهم روبوتات موجهة لا تعرف الإنسانية.

تلك الفتاة جاءت تبحث عن الكمأة بين أشواك العقد وأحكام القيد وفتائل الإذلال والعنصرية، لترفع سقف المعيشة لدرجة المقبولية، قياسا إلى ما كانت هي عليه..

لجاذبيتها، صرت أتبع فتنتها بشيء من البلاهة فهي مفعمة بالحيوية والأنوثة. أهجس في جسدها ضوء يتحرك مع شفق الحدق، يحرك مستشعرات الرغبة خلف أفتان الجسد، يداعب أوتار الوله على قيثارة الفكر، يشعرني بلسعة النار المستكينة فوق طراوة الفخذين وتنهد الثديين. ضوء قد لا يراه غيري، ينفذ من فتنة الشفاه والبشرة، يرق في الجسد كرجراج القمر في أمواج البحيرة...

ذلك ما دعاني أن أسهك عواطفي برغبة مكفولة في تلك المباهج، بت أشعر بذاتي قريبة من قطف ثمارها الدانية، لذا تمادت عينيَّ بزيغ نظرها عن قصد، وجدتْ في قوامها الرشيق بهاء غصن بان، يوافق عمق نظرتي وقياساتي إليها، لاستقامة القد.... ما شدني إليها هو تلك النكهة الذائبة من الشكولاتة في بشرتها، نكهة القهوة لحظة تأمل البحر عند المساء. أهجس بأكثر من ذلك، للغنج الرائب في طراوة الساقين.

تلك اللدانة واضحة في عود خيزران الساقين، من الكاحل لعنجرة الأرداف. لذا صرت أتحيل الفرص لأستكشف ما في صرة الفتنة من سحر وجاذبية تشد حيويتي، لولعي بسمرة البشرة.

كانت أكثر خشونة ورقة من الفتاة الالبانية، تلك التي لم أشعر بها أنثى، لضمور الصدر وصفرة الوجه، وانحباس الشفة. لم أجد فتنة واضحة بحبات العنب المعلقة بصدرها، وخاصة كانت ترتدي بجامة شتوية تضمر مفاتنها.

لوحتان تجريديتان مختلفتان في التشكيل، أحداها جامدة وأخرى حيوية، رومانسية. ترتدي تنورة بيج قصيرة فوق الركبة بشبر، وقميص شيفون أبيض منقط بلون البنفسج، مفلج الياقة، تخترقه خطوط مائلة من لون تنورتها، معلقة على كتفها حقيبة نسائية صغيرة صفراء.

كان يجاورها رجل أربعيني من البانيا، ناشف الملامح، أملط، كجبل أجرد، منهك، مصفر الوجه، كان قد شاقه السفر فعانى ما عانى حتى أدرك مرامه..

من جانبي كان يجلس إلى يميني كل من أنس، وحاتم وعمر من الذين صحبتهم معي، وإلى يساري رجل لبناني أربعيني. في البداية ظننته الباني الجنسية، لتقارب ملامح وجهه مع الألباني الذي يجلس قبالتي.

الكل كان مجهدا، الكل لم يأخذ كفايته من النوم، الكل يشعر بالجوع وارتخاء عضلات جسده، النعاس غالب عليهم، مترنحون، كأنهم مخمورون السُّكْرُ وطأ عليهم.

كانت مطروحة في الصالة طاولة مكتب كبيرة، استغل وجودها شاب جزائري، فأرتمى فوقها لإراحة جسده حتى صار يشخر

من التعب. فيما كانت الالبانية مكسورة الرقبة على كتف زميلتها الكونغولية، بينما الكونغولية منحنية الرقبة إلى الامام، مفلجه ساقيها، وبين فترة وأخرى كأن شوكة تغز حيائها فترتد لوعيها، فتلم تلك الساقين لتستعيد ذاتها.... ثم بعد هنيهة فقط تعود لأدراجها، فاقدة تركيزها وركيزتها، لتكسر رقبتها وتفلج ساقيها، لشدة الأرق والنعاس.

كنت أستغل الفرصة فأسترق نظرة من تلك الأفخاذ الملتهبة، أهجس بالفتنة اللاذعة تخفق بين الأفخاذ كحمامة تكرك على بيضها، للجاذبية المراءة، المنبثقة كشعلة في جمر سمارها.

مع كل نظرة أهجس بها تلسع ذاتي كعقربة، أحيانا أخجل من ذاتي، فاغض الطرف عنها، ثم أجد نفسي لهجة، لا تقاوم ضعفي، فأعود أبحث عن تلك الحمامة في ديجور ذلك السقم والعذاب، منشدها بسر اللمعة المدفونة في جوهرة البشرة،..

لم أستطع أن أغض الطرف عنها، لجلوسها قبالتي، ولعدم وجود كراس أخرى شاغرة، لا يفصلني عنها سوى ثلاثة إلى أربعة أمتار فقط. لذا تجدني شارد الذهن، مهووس بتلك السيقان الملهمة. كلما قارنتها بالجمود القابع في وجه الألبانية؛ أرتد إلى نفسي، فأحرق زغب شرودي في اللهبة اللافحة من صدرها وافخاذها. لقد جعلتني أشذ عن طبعي، فأميل ميل المراهقين، بعيدا عن فكر الزمرة المحيطة بي.

رجال الامن كانوا أربعة، جميعهم من كبار السن، أحدهم قصير القامة، ذات كرش واضح ووجه طفولي دائم الابتسامة. كانت

مهمتـه نقـل مـن يـتمم فحصـه للمشـفى، لغـرض تكملـة إجـراءات الفحـص بتصـوير أشـعة إكسـترا للصـدر، ثـم يعـود بهـم لكامـب الحجـر الصـحي. وآخـر كـان متزنـا بعملـه خلـف أجهـزة الكومبيـوتر لتجهيـز هوايـات الأوسـفايزر للمهـاجرين، فيمـا الثالـث كـان يرتـل برجلـه اليمنـى، نحيـف الجسـد، ناشـف الوجـه، شـاحب اللـون، ذات أنـف طويـل كمنقـار اللقلـق وشـارب مشـظ فـي الوجـه كأشـواك الصـبير المنتبـذة، تخفـق فـي عينيـه الزرقـاوين لمعـة غـيض وحقـد إزاء المهـاجرين. تكفـل بواجـب نقـل ملفـات المهـاجرين بـين الإدارة ومكتب تجهيز هويات الأوسفايزر.

فيمـا كـان الرابـع مسـكينا، محتـارا بنفسـه لفـرط سـمنه وشـذوذ طولـه، ربمـا محـيط بطنـه وعنجـرة عجيـزه تتجـاوز محـيط دائـرة بقطـر متـرين، إذا مـا أخـذنا طولـه الفـارع الـذي يتجـاوز المتـرين، كنـت قـد مثلتـه بخـزان نفايـات، وهـو يتحـرك فـي الممـر أشـبه بغـول غابـات أفريقيـا. أنـه أضـخم الجميـع، تشـعر بكـل فـردة مـن بنطلونـه بحجم كيس نفايات البراميل، لفرط سمنه.

كانـت فتـرة الانتظـار مملـة جـدا، تجـاوزت حـدود السـاعتين دون ان يـدخل شخصـا مـن مجموعتنـا لغرفـة الفحـص، بسـبب انشـغالهم فـي المجموعـة التـي سـبقتنا. بعـد تلـك الفتـرة العسـيرة نـودي علـى الألباني وأثنين من الافغان ليدخلا غرفة الفحص.

خـلال فتـرة الفحـص كـانوا قـد تـأخروا كثيـرا، حينهـا سـألني الـذي يجلـس يسـاري، كـان كلامـه بطـيء جـدا، وكـأنَّ شـحن بطاريتـه قـد

فضت طاقتها، لذا توقعته من أصول ليست عربية، ثم أنه تكلم معي الفصحى، حيث قال:.....

- لـــــمـمـمـــاذاااا تأخـــرووواااا.....

كأنه لم يتقن العربية، فقلت له:.....

- ما شاء الله أنت تتكلم العربية، أين تعلمتها؟

قال:....

- يـــــــاااا أخـــــــي اانـــــــــاا عـــــــربي مـــــــن للبـنـــاان...هههههههه.

صـــرت أضـــحك عليـــه وأقهقـــه؛ حتـــى دمعـــت عينـــاي هههههههههه، حيث في المدة التي تكلم بها الكلمة، استطيع نطق ثلاث جمل، فقلت له ضاحكا:..-

- ما بك؟ لم انت بطيء الكلام؟

قال وهو يضحك:..

- لقـد تعرضـت لحـادث، فأجريـت عمليـة فـي الحنجـرة والمريء.

كـأني حركـت الـدم فـي جسـده فصـار يضـحك ويهتـز علـى ضـحكي...هههههه. بصـراحة أسـتخطيته، لكنـي كنـت متعبـا، فلـم أعـر أهميـة لـه، كنـت أود أن أشـغل بـالي بـأي شـيء لأنسـى همـومي وهـم الهجـرة، وخاصـة تلـك السـمراء كانـت قـد شـغلت بـالي بجاذبيـة سيقانها، فصرت أتبع فتنتها بين الفينة والفينة..

مـا أن يـداعبها جفنهـا الوسـن؛ حتـى ترتخـي عضـلات جسـدها كغصـن ذاو، فـتفلج السـاقين، فتبـدوا الحمامـة نائمـة فـي عشـها. كانـت ترتـدي لبـاس بكينـي أسـود اللـون.... مـا أن يرتـد لهـا وعيهـا؛ حتـى تعـاود لملمـة سـاقيها. كأنهـا كانـت تـدرك بـأن هنـاك مـن يتبـع مفاتنها.

بعـد مـدة تجـاوزت النصـف سـاعة عـاد الألبـاني لمقعـده بوجهـه المتعـب، فخطـرت فـي بـالي قصـة نتيجـة الإرهـاق الـدائب فـي وجهه.

فـي البدايـة لـم أكـن منتبهـا علـى لباسـه وعنـدما عـاد لفـت نظـري تمزقـات بنطلونـه مـن موضـع الركبـة والحجـل، وتـراخ فـي لبـب قميصـه المفلـج أزراره، تهجـس بـه بـوهيمي المنشـأ، حينهـا قلـت لعمر وحاتم الجالسين يميني:..

- انظـروا إلـى الألبـاني، لقـد ذهـب سـليما معـافى، وحـين عـاد؛ عـاد ببنطلـون ممـزق وبوجـه شـاحب وقمـيص مقطـع أزراره، كأنـه حـين دخـل غرفـة الفحـص، أحـدهم بصـق بوجـه، ومـا أن التفـت عليـه حتـى صـعقه أخـر بعجـل علـى قفـاه ليسـقط أرضـا، ثـم سـحله الثالـث علـى الـبلاط ليدلقـه خارج غرفة الفحص. هههههه.

هههههههههههـه، ومـا أن أكملـت كلامـي؛ حتـى ضـجا بقهقهـة شـديدة، صـارت الـدموع تترقـرق فـي العيـون، صـرت أضـحك علـى ضـحكهم، صـار الكـل مسـتغربا، يـا تـرى مـاذا جـرى ليغرقـوا بالضحك؟ لا يوجد ما يلفت النظر...هههههه..

بعد فترة وجيزة جاء الشرطي البدين الضخم مناديا على شاب افغاني، كان الافغاني وهو يمشي إلى جانبه كأنه صعلوك قزم، قُيِدَه من يده ثم سحبه لداخل الممر، فقلت لأنس وحاتم:...

- الظاهر هذا الشرطي لم يفطر هذا اليوم، أخذ الأفغاني يتغدى به.... هههههههههههههه.

هههههههههههههه، لم نستطع كبح جماحنا، كأنما انشقت اشداقنا بالضحك والكركرة العالية، شهقت أنفاسنا، صرنا نبكي من شدة الضحك، الوجوه تلتفت علينا، ترمقنا بنظرات استغراب، دون أن تفقه سبب ضحكنا، دون أن تعرف شيئا عن مغزى حديثنا، لأن معظمهم لا يجيدون العربية.

استمر هذا المنوال فترة قصيرة، كأنه نزل وحي الإلهام على فكري، نسينا بها أنفسنا وشزر هم الهجرة والانتظار. كانت الوجبات تذهب للفحص وتأتي متأخرة دون أن نعرف السبب، حتى فرغت القاعة ولم يبقى فيها سواي والفتاة الالبانية ورجل تركي..

قبل أن أدخل غرفة الفحص جاءوا بوجبة غداء لنا، حينها كنت منهكا من الجوع، فأخذت قطعة خبز إضافية من الكيس، لكن الشرطي الحانق ذات الشوارب الشوكية سحبها من يديَّ، فوجت في سلوكه إهانة لي، واجهته بحفظ كرامتي وبذات الكيفية، دلقت صحن الأكل عليه رافضا أكله، فلم يتأسف أو يتراجع عن موقفه قط، أخذ الصحن والخبز دون أن يلتفت إليَّ، تركني ألوب من الجوع في الصالة ببطني الخاوية حتى جاء دوري في

الفحص.... حينها اقتربت الساعة من الرابعة مساءً، دخلت غرفة الإدارة، اللذين طلبوا مني التوقيع على بعض الاوراق، ثم سألوني أسئلة عابرة، أن كنت أحمل نقودا في جيبي أو جواز سفر وكيف دخلت ألمانيا ولم أخترتها....الخ من أسئلة روتينية باردة تشبه سلوكهم.

بعدها دخلت غرفة الطبيب ليأخذوا عينة دم لغرض التأكد من خلوي من الامراض، كانت الطبيبة بنفسها تأخذ العينة من المراجعين...

حينها عرفت سر تأخر المراجعين في غرفة الفحص....

وجدت الطبيبة كهلة جدا، شمطاء، كان قد لصغ الجلد على العظام لشدة كهولتها، نحيفة البدن، تعاني من شلل نصفي، لأنها كانت تسحف بقدمها الشمال. أقدر سنها في التسعين من العمر. كانت بذاتها تسحب عينة الدم، لذا في محاولتين أخطأت العثور على الوريد، صارت تبتسم بوجهي لاستميحها عذرا وهي تقيس ضغط الدم..

صرت أعاونها على عملها، أربط حزام ضغط الدم على الساعد، وأشد ربله على العضد لينتفخ الوريد ويبان موقعه.. جربت ثلاث وخيزات إبر في ظاهر الكف؛ حتى تمكنت من سحب الدم.. في كل مرة كانت تعتذر مني لرجفة يدها وضعف قواها، فكنتُ أبتسم لها، وأقبل اعتذارها... بعدها خرجت من غرفتها قرابة الخامسة مساءً لأكمل إجراءات الفحص في اليوم التالي.

الزنبقة

أسميتها بالزنبقة، لرقتها وأناقتها وخفة دمها ولاذِعة بشرتها المشربة بخمرة السمرة، أنها أميمة، وهي فاتنة من أصول مغربية، وهذه قصتها مع شاب باكستاني أغرم بها بجنون. تلك الفاتنة، الفتية، أبنة العشرين عاما، تبدو في شكلها وتكوين جسدها الرشيق كزنبقة البراري في قمة القها وعطائها وإذكائها ونبوغها، لماحة، ذات شخصية جذابة، تحكمها الحنكة والأناقة.

خلال مشاويرها كانت تنزوي بين فتيات الكامب في ذهابها وإيابها للمطعم أو خلال إدبارها للأسواق. كما كانت تنكفأ في المطعم وحيدة في زاوية منه، خلال أوقات الغداء والعشاء، لتتحاشى معاكسات الشبان الذي يرون في جمالها فرصة لتسلق مفاتن جسدها، لتسليك أوقات الغربة والهجرة بشيء من العبث، وبالذات الشبان الذين هم من سني عمرها.

أما في أوقات الفطور كانت تفضل النوم على روتينية مواد الفطور التي صارت تتكرر معنا كل صباح.

ما أن شاهدها منفردة وهي قادمة من غرفتها تمشي الهوينا متجهة نحو باحة المطعم؛ حتى أعد ذاته للقياها في منتصف الطريق، لبد خلف البناية المتروكة التي تتوسط طريق المطعم، قرر مفاجئتها ومصارحتها بما يجيل في قلبه من عواطف جياشة

تجاهها، في محاولة منه الغوص في متاهات سحرها وبحر أشواقها، ود أن يكشف لها عما يجيش في فكره وقلبه من هوس وجنون تجاهها، عسى أن تنقذه من ما هو فيه بريشة عطفها وبموج بحرها الطامي.

أنتظرها بلهفة المتيم، كان قد شغف بها شغف قيس بليلى، تيم بها حتى ذنب فكره، لذا أقنع ذاته بمعاكستها ومصارحتها وخطفها من بين الجموع قبل أن يسرقها غيره، وجد باقترانه بها تكمن سعادته وحريته وأحلامه.

كانت قد صفدته بمفاتنها دون أن تعلم، جعلته أسير شوقها يتبع ظلها دون أن تعلم، تراءت له وهي قادمة عن بعد كزنبقة البراري، فواحة، يضوع عطرها في أجواء فكره، شم ذلك العطر المفغم بطيب أريجها وسحر بشرتها عن بعد.

حتما أنه كان قد فكر بها طويلا قبل أن يقحم ذاته في تيار فتنتها، قبل أن تجرفه تيار مفاتنها لواقع حظها، ود أن يبح لها بمكنون مشاعره كيفما يكون الموقف، ليبح لها بما يهجس به من شبق وعناء ورغبة ارتباط بها أقحمته في طريقها.

كان قد أخذه الخيال لأجواء الهوس، هجس بها حقيقة، أصطف في وحدته خلف الجدار القابع في الطريق، عد ذاته بكل ما يملك من قدر، ليتمكن بمفاجئتها بما يملك من قرار.

كان قد عانى ما عانى دون أن يبح بسره للشيطان؛ حتى أصفرت أوراق صبره نتيجة حرارة الشوق في صدره. ذوى في

سمرة بشرتها الجذابة كـ إذواء الوحشة في أتون الظلمة، هام بها حتى أستهام بظلها. جرفته حيرته لمفاتنها، لوهدة الشوق والنجوى، لسهد الليل الكظيم وهو يقشعر تحت غطائه من برد الشتاء.... كيف لا وهي بملامحها الناعمة المتناسقة، كانت تبدو كشمس في ظل تلك الاجواء الباردة، كانت قد أرتقت درجات السحر ميزة، بألقها بدت كغزالة البراري تسرق طريقه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار انعكاس سمرة بشرتها الشفيفة، اللاذعة، تحت واطئة شمس شفيفة، لتبدو للناظر ملظة كالكهرب الساحر، ليلتاع بمحاسنها.

كان قد صف شعر رأسه بمادة الجل، فرك وجنتيه لتحمر قليلا في عينيها، صور ذاته في مِرآة ظنه دونجوان النساء، لينجح باختراق عالمها بسهولة.

لذا ما أن أدركت البناية المهجورة؛ حتى وثب أمامها وثبة الوشق على فريسته. فاجئها بذاته في النقطة الضيقة من الممر المؤدي إلى المطعم. وهي تهفوا ببطء خطواتها، كانت تبدو كرذاذ المطر لهدوئها؛ كان قد هجس بنسمة فتنتها أرعشت قلبه، لامست جمرة صبره....

ما أن جفلت؛ حتى تخضبت ملامحها بالخوف، تغير لونها، حركت ذوائب الشوق في أنفاسه، أضحى كمن لا يحتمل صمته.

كان قد أستعد للقياها بجذل والتباس، بقلب مضطرب، مهزوز البدن، جرفته رهافته وخواطر فيضه لنجواها. حين وثب أمامها، تفاجأت بظهوره، كأنه وحش ود افتراس حمامة.

ارتعدت أطرافها خيفة منه، فعلا أنه بسلوكه الأهوج كان قد أرعبها، لم تكن قد رأته من قبل، لم تتعرف على ملامح وجه سابقا، لم تكن قد اهتمت أو سمعت به. مع وثبته وضعت يدها على قلبها، في لفتة مفاجئة، معبرة عن ارتعادها منه، وهي في ذاتها تتساءل:....

- ترى من هذا المجنون؟ ماذا جرى له؟ لماذا تعرض لها دون مقدمات؟ ماذا يريد منها؟

بقيت منشدهة البال لـ هنيهة، لا تعرف كيف تتصرف، كيف تتعامل معه. أحيانا في لحظات العصف المفاجئة تختفي المبادرة عن الذهن، ينسى الشخص ذاته، يفتقد تركيزه، لذا وجدت نفسها في حالة شد وذهول يرثى لها، فسألته باستغراب:..

- من أنت؟.... ماذا تبغي مني؟
- Please speak English
- I don't know English
- I love you
- لا إله إلا الله.... حل عني...
- I want to marry you
- I don’t want to see you again Leave now
- But I love you

- أمشي العن حظك لابو الي جابك..

دلقته بيدها ومضت تمشي في طريقها للمطعم، فيما بات قلبها يخفق خيفة واضطرابا، أنتفض جنونها، لا تعرف ماذا تفعل حيال ذلك الموقف، كيف تتصرف مع متيم بها، صارت تهذي مع ذاتها وتقول:...

- مجنون، هي هي، باكستاني... هههههه، ناقصة قرف، لو كان عربيا لقلنا لابأس، أنت.. استغفر الله العظيم..

تركته متسمرا في محله وهي تحوقل مع ذاتها، فيما بقي متسمرا في مكانه وهو ينظر لقامتها وكأنها ظبية بان تخرق حقل وجده.

تركته وفي قلبها خيفة من أن يتهجم عليها أمام الملأ، وجدت في سلوكه وقاحة ووحشية وشراسة ملحة. لذا صارت تخطو خطواتٍ مسرعة نحو المطعم، يبدو على سلوكه نوع من الهمجية، أنه غير متعلم، وكأنه لم يلتقي بأنثى من قبل، لابأس أن كنت معجب، ولكن.....آه.....

أخذتها النشوة، طالما أعجب بها؛ فلابد فيها شيء جميل فتن به، بل أشياء لفتت أنتباهه.... وقفت أمام المرآة طويلا وهي تتساءل:...

- ترى؛ بماذا فتن.... بملامح وجهي الناعمة، أم ببشرتي الذائبة بلون الغسق، أم برشاقتي المبرمة بالألق، أم بطولي الممشوق، أم...أم.... ياه ....من حقه أن يفتن بي،

لقد سمعت بهذا الإطراء كثيرا من قبل شبان وصديقات فتنَّ بي وأغرمنَّ بي وأعجبنَّ بأوصافِي. لا أدرِي الحقيقة، ربما أنا حقا جميلة دون أن أعرف قدر نفسي، إذا لا خوف عليَّ من المستقبل.... ثم ارتددتْ لوعيها فقالت لذاتها:..
هههههه.... أيه يا هبله... أين ذهبتِ بفكرك؟ لازلت فتاة مفعوصة لا ميزة فيها، أنه هوس مراهق.

في المطعم جلست قرب عائلة ليبية، لتضمن عدم التحرش بها، وما أن أتممت غدائها؛ حتى عادت لغرفتها برفقة أحدى الفتيات دون أن تفصح لها عما جرى لها مع ذلك الشاب الذي وجدته متسمرا في محله دون ان يترك محله. مرت من أمامه دون أن يكلمها أو يتهجم عليها، لكنه غزرها بنظرات عينيه الغضنتين، نظرات ثاقبة، فيها شك وريبة. بقي واقف في محله بذات الرغبة والوله، وفي قلبه حسرة تبعده عن الآخرين، كان قد شكمته أمور كثيرة معقدة أحاطت به من قوانين ومحاسبة ومجادلة وامور اجتماعية وأمنية تخص الكامب صارت حائلا أمامه..

يا ترى؛ ماذا ضمر لها من شطط وجنون وعجز داخلي خلف تلك الحسرة المغمورة بصدره؟ ماذا أراد من وراء نظراته الموحشة؟ تلك التي تكمن فيها الكثير مما يخفيه. هجست بها نظرات ذئب فيها وجس، وحش فطيم، متصحر، يملأ شغاف قلبه هيام أعسر وحسرة مبالغ بها.

كانت أميمة قد وجلت منها، هجستْ بنظراته التباس وتخمين وتحسبْ، أنه بغير وعيٍ، مغيب الذهن، مرهق، متيم. خلف نظراته الحادة تحدٍ واضحٍ وتكهنات واستفسارات عقيمة، وجدت في استفزازه مخاطرة يصعبٌ تمريرها.

لشدة رهبتها صارت تجري بقدميها تحاول أن تلقف غرفتها بأسرع ما يمكن، كانت قد سمعت منه تمتمة خلال عودتها من المطعم، سمعت هذرا لم ترطن لها، لذا لم تفهم منها شيء يخصها.

المصيبة التي أرهقت ذلك الشاب؛ بأن أميمة بوجهها العابس، الغاضب، تبدو أشد فتنة مما وهي تبتسم، هجس بنور وجهها وهي جانحة بسخطها كنور القمر في واحة السَحَر، فيها فتنة مرهفة، مراءة، أرهقت ناظره، لما فيها من ودق أغشت بها فؤاده، هجس بذلك الألق وهو يشتط من فتنتها كشعل مصابيح في ظلام فكره.

لذا فكر أن يتبعها دون أن تعلم به؛ حتى يتعرف على رقم غرفتها، ليعود إليها بعد أن تعرفت على غايته، ليفتح لها صنبور أشواقه، عسى أن ترهف به وتلين أمام عصفه.... كأنَّه شعر بذاته قد أخطأ في سلوكه الهمجي بمعاكستها في الطريق، لذا أراد أن يبهج قلبها بشبابه بلحظة صمت، عسى أن يقطف منها نظرة أعجاب تريح أعصابه.

خلال تعامله الأولي وجدها صرة معقودة، صعب عليه فك ألغازها، وجدها جبل أشم، أجرد، منيع، لا يمكن تسلق قمته

بـالطرق العاديـة، المسـالة تحتـاج لحنكـة وصـبر ومكـر. لـذا أعـد ذاتـه لجولـة الثانيـة، جولـة يحـدد موعـدها بذاتـه، عسـى أن يـتمكن من سرقة مكنونات جواهرها.

*****

فـي سـاعة متـأخرة مـن الليـل كانـت قـد تجـاوزت هزيعهـا بسـاعة أو سـاعتين، فـي تلـك السـاعة كـان قـد لـزم جنـاح غرفتهـا، بقـي يـدور فـي فلـك عشـقه كـدبور أو كضـليع، يرتجـي فرصـة ظهـور القمـر فـي دجـى ليلـه، ليسـترق منهـا نظـرة ود تُشْـفي غليلـه. بـل أنـه طـرق بابهـا وأشعرها بوجوده دون أن تستجيب له وتحادثه.

بكيانـه كـان قـد غـص فـي وحـل غرامهـا، تـيم بهـا كتـيم النـوارس بشـواطئ البحـر، تكبـل بهـا كأسـير السـجن. لـم يهـتم للألسـن الممعمعـة ولا للنظـرات المخلـة أو العنـاء الـذي سـيلحق بـه؛ بقـدر تأملـه أن تحنـو عليـه ولـو بنظـرة رؤومـة، أن ترفـق بـه بعطفـة تمـيس كيانـه، أو بهمسـة، بلمحـة، بشـيء مـن ذلـك القبيـل تطفـئ شـرر بركان شوقه.

هكـذا بقـي يجـوب أروقـة جنـاح الكامـب ذهابـا وإيابـا، سـاهيا، مضـطربا، نافقـا فكـره فـي عصـف هواهـا. مترنحـا، مَمْسُوسـا، مسـعورا فـي الممـر بسـلوكه المخـل، تهجـس بـه قـد فقـد تركيـزه كشـارب الخمـر، لا يعـرف سـبيلاً يعينـه علـى كسـب عطفهـا وسـرق نبض قلبها.

بقي في حيرة من أمره وهو يصارع الزمن، دون أن تظهر له في الأفق كنجمة الصبح، دون ان يشعر ببارقة أمل في سمائه، مع ذلك ظل مرابطا أم باب غرفتها يواصل تحديه الزمن، أعتصم في مكانه، أضحى لا يهتم لنظرات الناس وحديث الآخرين، ولا لوسوسة الشياطين. لقد جاء بجوارحه الجائعة، العطشة، الرهيفة. ها هو قد جنح بفكره لغاية شواطئ قلبها، متمسكا بعهد قطعه على نفسه بأن لا يعود خائبا، لذا لزم غرفتها فترة طويلة.

لابد من أدراك الفرصة، لابد من قراءة طالعه، صار يراجع حساباته عسى أن توائم صفات برجه برج الثور مع صفات برجها برج العذراء، لأنه في سلوكه كان همجيا كالثور، فيما تركن صفاتها وأوصافها إلى أدراج العذراء.

كان قد التمس فيها جوهرة لا تقدر بثمن، وهي كذلك، كاملة الأوصاف، رزينة، طرية، لينة، بريئة، جميلة المعالم، تمتلك من الخصال ما تبهره، صفات خلجت ثلج بالنار. لذا تمسك برغبته المجنونة، هجس بذاته إذا ما أقترب منها سيهلك بأحد القدرين، أما أن يحترق بلظى الجمر أو سيشل بثلج العند، وفي كلتا الحالتين سيكون عبد هواها.

ترى ماذا عليه أن يفعل؟ أحيانا المجازفة قد تفي بالغرض، وأحيانا قد تنعكس على سلوكه بالسلب. في ظنه كان قد قدر الحسبة بشكل دقيق، أدرك بأن الأنثى الصعبة المراس لا تأتي لجادة الطريق إلا بالمجازفة أو بمغامرة ما تلفت نظرها، مجازفة

تتجاوز عصف عندها، تفوق سحر فتنتها، تلين قلبها، تحرف بوصلة القلب نحوه....

لكي تكون المعادلة حقا متساوية الطرفين بينهما، يجب عليه المجازفة، ينبغي أن لاً تكون بذاتها وشخصيتها أقوى من جنونه وعواطفه، يبغي أن يكسر ذلك التباين لصالحه.

إذا لا بد من طفرة جدية تحصل في سلوكه ليلفت نظرها.

قرابة الحادية عشرة والنصف، خرجت أميمة من غرفتها تبغي غسل وجهها وتقضي حاجتها، لم تنتبه على وجوده وهو مختبئٍ في الغرفة المظلمة، المهجورة، المجاورة لغرفتها، حيث كان يراقبها بشكل خفي، طفق أمامها على حين غفلة كشبح يرتدي السكون غطاء له، كشيطان أخرس سار خلف خطواتها.... هجست به، التفتت خلفها وإذا بها تتفاجأ به.... قالت بعصبية:....

- هو أنت!!!! ترى ماذا تبغي مني؟...

- Please hear me

- Lave this place know

أجابته بحدة أوقفت غروره، وقف في مكانه يتأملها بتوسل قائلا:...

- I Love You ،I want you

- I don’t wont

بتلك الكلمات قطعت عنه دابر الطريق، عادت مسرعة لغرفتها وهي خائفة، قلقة. أقفلت على ذاتها باب الغرفة من الداخل بالمفتاح، خوفا من أن يهجم عليها ويغتصبها، ظلَّ في خاطرها وجس يحذرها. ترى كيف أتخلص منه؟ أنه يلاحقني، تبدو في عينيه شراسة كشراسة كلب مسعور، لا أحد قريب هنا أستنجد به. يجب عليَّ أن أخبر إدارة الكامب، يجب أن أوقفه عند حده، أنه متوحش....

ذلك ما جال في خاطرها في أول الأمر، ثم عقبت على وضعها بحسرة:...

يا ترى؛ كيف أنهي مشواري في هذا الكامب وأنا أعيش بين وحوش ضارية، هذا يروم وصلي، وذاك يدور خلفي، وآخر ينظر إلي نظرة إسفاف وإسفاد، ووو كل يوم أتحسس بمضايقات مختلفة.. هل أذهب عند أمي فترة ومن ثم أعود؟... لكنها بعيدة عني. كما أن إجراءات إدارة الكامب قاسية، لا تبدي أية مساعدة.

هل أقدم شكوى ضده لدى شرطة التحري؟...آه.. حينها ستحسب عليَّ مسألة شرف وكرامة، قد تنحرف معناها ضد سمعتي. لالالا... دعني أصبر قليلا... يا رب مهد لي طريق النجاة وأعني على مشواري.....

أما ذلك الشاب؛ بقي مرابطا أمام غرفتها، وأحيانا يتجرأ ويطرق باب غرفتها، ود إطفاء جمرة جنونه، ود مراعات قلبه بعطفة من لسانها، أنها فرصتهُ الأخيرة، لقد فعل كل ما بوسعه

أن يفعلـه ولـم تسـتجب لندائـه. صـدمها بعنـاده وصـدمته بثباتهـا، لـم يسـتوعب عفتهـا وقرارهـا، لـم تسـتوعبْ غايتـه، أصـبحا فـي مفتـرق الطرق كقطبين متضادين.

فيمـا كـان محتـارا بغيـه، كـان أبـو سـعيد قـد سـمعتُ جلجلـة امـام بـاب غرفتـه، فـود أن يعـرف مـاذا يجـري هنـاك. مـا أن فـتح البـاب؛ حتـى اصـطدم بشـاب غريـب لابـد أمـام البـاب، شـاب نحيـف، مشعشـع الشـعر والفكـر والنظـرات، يسـتند علـى الجـدار مقابـل غرفـة أميمـة، شـارد الـذهن، مغيـب العقـل تمامـا، كـان قـد تعـرف علـى جنسـيته مـن ملامح وجهه، فساله ليلفت نظره إليه:..

- أأنت عربي؟

- No

فحاوره باللغة الإنجليزية فقال له:...

- Why are you standing here لِمِ أنت واقف هنا؟

- Wait for a friend أنتظـر صـديق.. "قـال ذلـك . بـإحراج وخجل".

- But this is not a waiting place? Isn't it better for you to wait for your friend in another place like the mosque؟ - لكـن هـذا. لـيس مكـان انتظـار؟ ألـيس مـن الأجدر بك أن تنتظر صديقك في مكان آخر كالمسجد؟

- No, I'm waiting for him here لا أنـا أنتظـره. هنا.... "كان صلفا في رده، مستميتا"..

لقـد عـرف غرضــه، لأن هنــاك مــن سـبقه وطـرق بــاب ميرفـت ودوكانــا، وهــو يحمـل ذات الشـكل والهويــة، وكــأنهم متحـدين فــي النية والهدف. لذا واجهه بذات الصلافة، فقال له:...

- If you don't go, I will tell the camp administration about you.This place is for families only.

أن لــم تمضـــي، ســأخبر عليــك إدارة الكامــب، هــذا المكــان مخصص للعوائل فقط.

- I know,but;...well, I'm going أنـا أعلـم، لكـن؛..... حسنا أني ذاهب.

ذهـب وهـو ضـجر مـن وجـود أبـو سـعيد، ذهـب دون رضـا، كأنـه قـد منـع عنـه قطـران الشـهد. حينهـا كانـتْ قـد تطمأنـت أميمـة بعـد سـماعها صـوت أبـو سـعيد وهـو يجادلـه، فخرجـت للمغاسـل لتغسـل وجههــا دون أن تخبــره بأوليــات القصــة، ربمــا كانــت خجلــة، محرجـة. هكـذا سـرت الحالـة ومـن ثـم كـل مـنهم أنـزوى فـي غرفتـه بعد أن تعدت الساعة منتصف الليل.

حـين تـرك المكـان كـان قـد ذهـب بجسـده فقـط ولـم يـذهب بفكـره وروحـه وظنـه مطلقـا. كأنـه فـي تلـك الليلـة لـم تغـف لـه عـين، بقـي سـاهدا، سـاهرا ينـاجي صـبره حتـى طلـوع الفجـر.. فـي تمـام السـاعة

الخامسة صباحا عاود كرته عليها مرة أخرى بعد أن ضمن الجميع في سبات، عاد يربت باب غرفتها ربتا خفيفا، حيث منعته أشواقه ولهفته من الاستكانة والاستسلام، لقد فعل فيه الشوق ما فعل فيه الفراغ الذي يعاني منه الجميع، حتى تجرد من فكره.

أما أميمة فأنها بقيت عصامية، تسمع تلك الربتات ولا تبالي له، لم تستجب له ولم تفتح الباب، تركته يتوسل بها توسل الطير المذبوح. في الحقيقة كانت خائفة من سلوكه وهمجيته من جهة، وحازمة في موقفها من جهة أخرى. بقيت طوال ليلها وجلة في غرفتها دون أن يغف لها جفن، بثباتها صارت سيفا على رقبته قطعت دابر شكه باليقين؛ حتى عجز من إدامة سعيه ومحاولاته، فأضطر أن يفلَّ مكسور الخاطر قبل أن يحل الفجر ويقع في المحظور، ومن ثم تنفجر عليه بالونة فضيحة التحرش، والتي تودي به إلى التهلكة وغياهب السجن.

وفي صباح اليوم التالي كانت قد قدمت شكوى ضده لدى الإدارة لمعالجة الأمر، والتي بدورها هددته بعقوبة التحرش التي تودي به إلى السجن، وذلك قبل أن تنقله الإدارة لأحدى القرى النائية لصلافته...

بتلك الطريقة تمكنت أميمة من أن تتخلص من ملاحقته....

زيارة طبيب

كان يوما مشمسا، دافئا، ذلك اليوم الذي صادف موعد زيارتي للطبيب، لمراجعة حالتي المرضية التي بدت تتفاقم منغصاتها وأنزعج من تكهناتها مع سعة الفراغ الدائر في فلكي.

الحالة ليس مخيفة وعسيرة قدر ما هي مقلقة ورتيبة في حياتي، لقد تحول هاجس الخوف إلى أعباء وإعياء، بحيث تجاوز قرفه طبيعة الحالة التي أنا عليها، فتحولت من حالة نفسية رتيبة لحالة حرجة مقلقة، متعبة أكثر من أن تكون علة مرضية صرفة، وأظنها ناتجة عن سعة الفراغ الحاصل في حياتي بعد فراق زوجتي الحبيبة.

حينها صار ارتفاع ضغط الدم يشتط في جسدي؛ حتى وصل أوج عظمته، كما اختلّت حالات التبول عن الحد المعقول والطبيعي، مما صارا يشكلان حالة غير إرادية وغير مستقرة لديَّ.. ذلك ما شكل لي قلقا على مدى أشهر قبل ان أقرر مراجعة الطبيب، فكان لا بد لي من أن أضع حدا لتلك المعاناة الغير طبيعية.

كأنّماَ عقربة الصحة قد انحرفت عن قمة درجاتها، صارت تبتعد عن محور السلامة، أرهقت الروح، كلَّ البدن، بحيث

صـرت كلمـا أشـرب قـدح مـن المـاء، أهـرع للخـلاء لأتبـول.. صـارت الحالـة تـداهمني علـى حـين غفلـة مـن أمـري وبالـذات فـي فصـل الشـتاء، زادت الحالـة عـن معـدلاتها الطبيعيـة؛ فعزوتهـا لحالـة القلـق والوحـدة التـي صـارت تأكـل مـن لـب صـحتي شـقفة، لهوسـي وتفكيـري الـدائم بزوجتـي، حيـث أختـلَّ النـوم وذبـل الجسـد، لذا قررت زيارة الطبيب.

كـان علـيَّ مراجعـة الطبيـب فـي مدينـة كيمنـتس والتـي تبعـد عـن ناحيـة شـنيبرغ التـي أسـكن بهـا مسـافة 40 كـم تقريبـا. ارتقيت عجلـة البـاص المتجهـة لمدينـة كيمنـتس بحـدود السـاعة العاشـرة صـباحا، كـان علينـا أن نمـر فـي مركـز مدينـة آوه التـي تبعـد خمسـة كيلومترات لننطلق من هناك لمدينة كيمنتس بشكل مباشر.

مـا أن توقفـت العجلـة فـي آوه؛ حتـى أرتقـت البـاص فتـاة رشـيقة لماحـة، لهـا جاذبيـة سـليطة فـي لبسـها وأناقتهـا وتقاسـيم وجههـا، ذهلـت بهـا، جـذبت انتبـاهي مـن الوهلـة الأولـى، لمـا لهـا مـن طلـة وفتنـة وسـحر مطابقـة لفتنـة وسـحر زوجتـي بالتمـام والكمـال. كانـت قسـيمة الملامـح، لماحـة، يتـراقص الألـق فـي مبـاهج حسـنها كصـفة اللمعـة المبرقـة فـي الماسـة. لـذا مـا أن جلسـت فـي مقعـدها قـابلني؛ حتـى اسـتحوذت علـى شـعب تفكـري وشـطط لـواحظي دون شـك، كحالة قدرية ما من مشاكستها بد.

صـار وجههـا مقابـل وجهـي، تشـاكس حـدقي، جلسـت علـى بعـد مقعـدين تمامـا مـن مقعـدي، أي لا يفصـل بيننـا سـوى مقعـد واحـد

شغلته إمرأة مسنة، شمطاء، تجاوز عمرها السبعين عاما، كانت بعض مقاعد العجلة متعاكسة الاتجاه.

ما شدني للفتاة ليست ملامح وجهها الجميلة فحسب؛ أنما درجة الشبه الكبيرة والواضح بين مفاتنها ومفاتن زوجتي لدرجة الدقة في رسم تلك الملامح، إضافة لتفاصيل القيافة ومقدار الألق والأناقة وشطب الطول؛ كأنها نسخة كربونية طبق الأصل.

خيل لي أنها زوجتي متنكرة بطلة جديدة، وبشكل مُزَهّرْ بالفتنة، وبشعر مستعار منمق من كريستال مذهب. أهجس بها هي ذاتها، لولا الاختلاف في لون الشعر والعين. هذه الفتاة كأنها سرقت لون شعرها من خيوط الشمس، ولون عينيها من زرقة السماء، وبشرتها من رمل البحر. عكس لون عيني زوجتي سوداوان، وبشرتها الخمرية وشعرها الفاحم، كأنها مزدانة بلسعة من لهب الشمس، فأرشقت وجهها ببهرجة من حرارة رمل الشرق..

لذا بتقديري لا يمكن أن تكون زوجتي؛ فهي تختلف عنها بلون عينيها وشعرها وبشرتها وأن كانت توافقها في الملامح والقد.

لكن الملامح هي هي، لا تختلف قيد أنملة، كأنها زوجتي متنكرة، على الرغم من الاختلاف الذي ذكرته... هذه الفتاة كأنها سرقت لون عينيها من عمق البحر، وأتحفت بشرتها بغرة الفجر، فبانت بجاذبية ساحرة تعصف بأنظار المعجبين. كنت قد لمست فيها عريكة كعريكة زوجتي، لا تختلف عنها في الإيماءة والبسمة والنظرة والعفوية.

فالنساء غالبا ما يتتبعن الموضة الحديثة، يرغبن بالتغيير المستمر، حيث تلك الفتاة المبهرة بالفتنة حلت كالسيف على رقبتي، بحيث صرت لا أستطيع تحديها ولا أن أتركها دون أن أغمد نصل شوقي بخاصرتها، لنعومتها ورقتها وحلاوة مفاتنها تعلقت بها. فلصفاء تلكم العينين وقع على القلب بعمق شغف البحر، لما لها من سحر يفيض على مفاتن الوجه، كأنها اقترنت بالنجوم، فصار التخاطر على أشده ينم بالجاذبية.

أنها فعلا تشبه زوجتي بكل تفاصيلها، وبالذات في رقة ابتسامتها وشعشعة الفتنة الرائجة في بلق الشفتين المنتبذتين كتويج وردة جورية. من رحاب الوجنتين التمست رقة وجنتي زوجتي سائحة على اسيل الوجه، لذا اقتنعت أنها فعلا زوجتي لكنها متنكرة.

لذلك أخذني الفضول وصرت أتمعن في تلك الملامح بإمعان، أدقق في التفاصيل الصغيرة بقدر عال من التركيز، دون أن تنتبه عليَّ، دون ان أدرك مدى انزلاقي في منحدر تلك الفاتنة....

بين لحظة وأخرى صار يأخذني الخيال لمتاهة الشك، لواحة الأدراك والتفسير وتحليل معانيها، ما جعلني أبصم باليقين من أنها لابد أن تكون زوجتي، أهجس بها جاءت تراقبني، أو تبحث عني في وسط تلك المتاهة من دوار الفلك. قد تكون أصابها ما أصابني من لعنة الفراغ فامتطت شرود افكارها التي غلبتها وغلبتني، في عالم غريب، متنكر بالعبث والظن والدجل والأهواء التي لا تنفك عن أقدارنا وأفكارنا....

نعم أنها زوجتي، وما يدفعني للاعتقاد بأنها هي بذاتها؛ تلك الشامة المغنوجة العالقة على جانب حنكها الأيمن، وأوعز ذلك إلى أن الشعر ممكن أن يصبغ بالأوكسجين أو تتنكر بباروكة، والعين ممكن أن تركب لها عدسات، وهي شائعة اليوم بين النساء، لكن تلك الشامة الخلابة، المرهفة، المرسومة في ذات المكان وبذات الحجم كنقطة عنبر في صحن مرمر، كما يصفها المرحوم ناظم الغزالي في أغانيه، ذلك ما لا يصدق بتاتا بان لا تكون زوجتي بذاتها.

ترى هل تلك هي مصادفة، أم يقين؟....

أكيد ... لالالا...لا وألف لا.. من المستحيل أن لا تكون زوجتي، ومن المؤكد أنها زوجتي!!!... صرت أتأرجح بين شكي ويقيني، لا أدري إلى أي رأي أميل، إلى حدسي وشكي أم إلى عقلي ويقيني!

هكذا غلبني الشك مع عجلات الباص وهي تزحف بنا، صرت أمعن النظر في تفاصيل ذلك الوجه وبالذات في شفتها التي أحفظها عن ظهر قلب، لما لها من ألق ومكانة في نفسي. شفة كفص برتقالة دمية، يتقطر منها ريعانها وحلاوة تركيبها وإطلالة هلالها.

نعم النساء يصطنعن المستحيل في هذا الوقت، يطرقن الأوشام، يترصعن بالندب، يركبن الشعر المستعار والاظافر والرموش والعدسات، يغيرن لون البشرة بالأساس والأدوية، يرصعن الخدود بالغمازات، وقد لا تتعرف على زوجتك إذا ما

خرجت من صالون التجميل. كما يصفها المطرب الشعبي عمر سليمان ؛ تدخل جعفر تطلع فاتن – هههههه.

على أية حال جذبتني بفتنتها، صرت أبحر في لغز سحرها، وكأني أود أن أغرف من تلك الشواطئ الجذابة بعض لآلئها وأصدافها. وأكثر ما غرني بها لون عينيها وأنفها الشامخ الذي تميل به عطفة رقيقة كتلك التي يتميز بها أنف زوجتي من فيصل وكبرياء، إضافة لتلك الشفة المنتبذة والتي تقبع في وسط وجهها ككوب دري يجذب الأنظار؛ لأنها ليست كشفة باقي النساء، يكمن فيها هبة نار بلون الدم، لشدة ألقها ولدانتها وألقها وتفحها. تهجس في روائها أكمة كثيبه، تفيض فتنتها وألق على الأنف والوجنتين، لينتشي وجهها المسبَّغ بالجاذبية بالألق. أنها إمرأة وذيلة بمعنى الكلمة، كـ سبيكة مجلوة بالفضة والذهب.

لذلك أخذني الخيال لأنغمس في تلك المفاتن وبالذات في تلك الشفاه اللاهبة، هجست بحرارتها تدك شفاهي. لم أشعر بأنها غريبة عني قط، بل كنت أحسبها زوجتي ولي الحق بملاطفتها، لذا سرقني الخيال إلى واحة ليلة الزفاف، للحظة احتضاني لها وتقبيلها. لقد أنصبت عيني على تلك الملامح وهيَّ مغمضة، كي لا تثيرها أية مفاتن أخرى، فلم أهتز للمناظر الخلابة التي مررنا بها، ولا لتلك الوجوه الدائرة من حولي من النساء، اللاتي يصطفن فوق كراسي العجلة عرضا وطولا.

لم تنحرف عينيَّ عن تفاصيل وجهها قيد شعرة، انغمستْ في تلك المفاتن كصفة اللون واللمعة، حتى أني كنت أهجس بأني

وحيدا في العجلة، فراحت أحداقي تغور بمنعطفات تلك الشفاه العبقة لأغرف منها ما يطفئ ظمأي، سابح في خيال عميق، مغمض العينين، دون أن أدرك حقيقي، سهوت بذلك الوجه كطيف أعمى؛ هجست بذاتي تسامت في مفاتنها، تخطت حدون الكون المادية، صرت جزءا من ذلك السدم الذي يجمعنا، أتنقل على مرافئ الحسن عبر خطوط النظر، فقدت الإحساس بالوجود والمحيط تماما، بتُ لا أميز بين ذاتي الحقيقية وتلك التي العائمة في عالم الأرواح تتبع مجسات الود؛ حتى أدركتُ عالمها النائي متناسيا كل شيء خلف ذلك الوجه، أمتزج الحس والادراك في تلك المعاني.

تخيلت ذاتي فراشة تقف على تلك الشفاه الملتهبة، أزفت تمتص رحيق مفاتنها، غدت ترتعش الروح في حضرتها، مع مرور الزمن تحولت لجمرة أصطلي بنارها. بانعكافي على فتنة وجهها، لانت شفاهي، ترطبت بفتنتها، امتطت بغيٍ، بحيث امتدت باتجاه تلك الشفاه الفاتنة لتلامسها، لتطبق عليها، لتطبع فوقها قبلة الحياة، لتُقدِحْ وريقات زهرة التوليب في وجهها.

ما أن دخلت في أتون السهو والسهاد، وقبل أن تطبق شفاهي على تلك الشفاه، في تلك اللحظة الحرجة والمراقة من الحلم وأنا اتبع الشغف اللاعج في قلبي ومخيلتي... أقول في تلك اللحظة السعيدة؛ كانت قد لسعتني بعوضة من ساعدي الأيسر، جعلتني أجفل لشدة الالم الذي أراقته في موضع اللسعة.. ودون شعور مني صفعتُ ساعدي الأيسر بكفي الأيمن بقوة، ما أدى إلى أنتباه الجميع على صوت الصفعة. ما أن رفعت رأسي؛ حتى وجدت

في حدقاتها نظرة تأسف، لا أدري أن كانت قصدت سوء تصرفي وانحداري إلى عالمها، أم رأفت بها حالي لشدة اللسعة.

تلك البعوضة كانت قد سرقتني من عالم الخيال، أعادتني إلى عالمي الحقيقي، لوضعي الطبيعي، بعد أن سرقني الخيال لتلك السعادة المرجوة، والتي كنت أبحث عنها بشغف في ظل الفراغ المحيط بي.. كأنها أبت أن ألوك شفاهي بتلك الشفاه الوارفة، صرت أحك مكان اللسعة لشدة فيض الألم، حتى كاد أن ينزف الدم من موضع اللسعة..

لا حكم لي على تلك البعوضة، لمَ جاءت في تلك اللحظة الحساسة؟ لحظة اندماج الروح بالسر الالهي المراق على تلك الشفاه المرنة، أحسبها وحي إلاهي مرسل من قبلها، لتقول لي كف عن تطفلك يا مراهق، لتنصحنِ بالاتزان والرصانة وعدم التهكم والتصرم في سلوك عبثي...

لذا عدت لطبيعتي متلفتا يمينا وشمالا دون أن أجد تغييرا في نظرات ووجوه الزمرة المحيطة بي، كلٌ غارق بتفكيره وظنه ببحر هواه.

بعد هنيهة رجعت مرة أخرى لحالة الشرود والخيال، في نفسي وددت أن أزاول لعبة التحدي مع تلك الفتاة، لشبهها الواضح بزوجتي من جهة، ولأنها ذكرتني بها وهيجت نار أشواقي من جهة أخرى، وأن كانت قابعة في الذاكرة والقلب كركيزة دائمة.

تبـع الفكـر نظـرات العـين إلـى حقولهـا الخضـراء، أنهـا حقـا ملامـح زوجتـي، وهـل أغفـل عـن ملامـح زوجتـي؟ غيـر أنهـا أرشـق قلـيلا منهـا، أكـاد أن أقـبض علـى خصـرها الأهيـف بكـف واحـدة، ثـم أنهـا حـين تبتسـم تكـاد الشـفة تغطـي مسـاحة وجههـا؛ لنحافـة الوجـه وضـمور الخـد. لكنهـا لهـا عيـون زوجتـي وأنفهـا وشـامتها وشـفتها، تلـك التـي أكثـر مـا يغريـني بهـا، لـذلك أحسـبها أنهـا هـي بـذاتها، ربمـا نحفـت قلـيلا بسـبب طـول الفـراق وشـدة تفكيرهـا بـي، وعجـاف فتـرة العزوبية.

علـى ضـوء ذلـك عـدت للفضـول مـرة أخـرى، لأنغمـس فـي بحـر الخيـال الطـامي مـن جديـد، لأغـور فـي عـالم سـحرها مـرة أخـرى، لأغـوص فـي متاهـة تلـك الشـفاه النديـة، المغنجـة بالجاذبيـة ولونهـا المقتضـب المشـبع بـالحمرة القرمزيـة، كأنهـا فـص عقيـق مشـبع باللذع واللدانة والرقة.

عـدت إلـى حالـة الاسـهاب والتخـاطر، إلـى صـورة المسـتجدي الـذي يتأمـل أن ينـال حبـة مـن عنقـود الكـروم. إلـى غـايتي ورغبتـي بخطـف قبلـة مـن تلـك الشـفاه النديـة ولـو خيـالا، تلـك الجنيـة التـي الهبـت فكـري، المليئـة بالـدفء والعذوبـة، لأروي قلبـا غـال كثيـرا بالصبر وهو يحترق بنار الفراق.

مضـيت علـى شـاكلتي الأولـى أبحـر فـي شـواطئ بحرهـا الواسـع، هجسـت بتلـك الشـفاه لا تنفـك عـن عـالمي بـل أضـحت تـدعوني لعالمهـا، صـارت تقتـرب منـي بقـدر اقترابـي منهـا، وبشـيء مـن التخـاطر والنجـوى والحـث الكهربـائي الحاصـل بيننـا، انجـذبنا نحـو

بعضنا، أشعر بها بدأت تتحرك نحوي بقدر تحركي إليها، وكأن الجاذبية أثرت بنا بمغناطيسيتها في ذات الوقت، أضحينا قطبين مختلفين متجاذبين.

صارت الفكرة على أشدها تتكور في ذهني، تلفظ نار الوجد في صدري، وددتُ أن أقتلع تلك الشفاه من وجهها لأضمها إلى فمي، صرنا نتجاذب الرغبة والغنج، حتى صارت شفتي تبحر كموجة نحو شاطئ شفتها، تتهادى في صبابة نحو ذلك الموقد المتقد والملاذ العصي، تود أن تتحطم على شاطئها... تمطت بها الرغبة الكامنة إلى جوفها، هجست بعطب في اللهفة، بدى دخانها يتراقص أمام عيني كثعبان الكوبرى، تميل مع شطط الآهات النافذة من حشا الفؤاد. وما أن دنت لحظة الاندماج بين الشفتين؛ حتى صعقتني العجلة بزعيق زمارها الموحش- ط ـــــــــاط -...

وذلك حين دعس السائق على زمار المنبه على حين غفلة، لينبه عجلة جانبية كان يجتازها وأنا في تلك النشوة والألق. كان يمور في منعطف شارع ضيق بشيء من السرعة والرعونة والعنجهية، كاد أن يودي بنا في الوادي السحيق...

هجست به كأنَّه كان يراقب سلوكي من خلال المرآة العاكسة؛ حتى وأنا غارق في بحر الخيال دعس على زمارة عجلته، ود تحذيري كي أقلع عن صفة التبجح التي لازمتني في تتبع تلك مفاتن تلك الفتاة، ود أن أكف تجاوزي عن حريتها، كأنه توجس نية سلوكي الجانحة.

صرت أسأل نفسي: يا ترى؛ هل هي فعلا ساحرة بشكلها وعالمها وأنوثتها؟؟؟؟ ففي المرة الأولى كانت قد غلبتني بعوضة، فأصرت على منعي من تقبيلها.. وهذه المرة أقلعني عن عزمي زمار العجلة. أكاد أشك بأنها ليست من البشر!!..

أهجس بها تحمل بين كتفيها آية من الرحمن، يحميها من الوحوش الكاسرة، حتى ولو كان ذلك في السهو والخيال. لذا تيقنت في ظني من أنها مُسيَّرة ومأمورة، فأما أن تكون ملاك طاهر، وأما هي زوجتي متنكرة.. وإلا ما سر هذه الحوادث التي تمنعني من أن أتخطى حدود الأدب واللياقة معها خيالا؟ هل لأني أخالف حدود الشرع وأتجاوز على المحرمات، أم لأن سلوكي منحرف أمام المجتمع؟..

لكني كنت وحيدا أتخور في عالم الغياهب، كل هؤلاء من حولي لم يكونوا معي، كنت أبحر وحيدا بقارب من هوس الجنون، من نسيج الحب والخيال، ساعدني على تخطي عجزي لأصل شواطئ عينيها وضفة شفتيها شغفي وهيامي بها..

ترى هل أقترب شخصا آخرا ما، من الذين يحيطونني من حدود عالمها البهيج مثلما كنت أفعل؟ أو أحدٌ من هؤلاء أخبر السائق عما يجول في خاطري كي يحميها؟ ربما الكل تخيلها زوجته، الكل حاول أن يشاطرني رغبتي، أن يصل لشواطئها بذات السرعة التي عبرت بها مفازة عجزي وقفار أشواقي، فما كان منها إلا أن تنبه السائق ليوقف همجيتنا.

بقيت بذلك الاصرار والتفسير المتشعب، أفسر سر التشابه الكبير الذي يجمع بينها وبين زوجتي دون جدوى.. ترى؛ هل فعلا الله خلق من الشبه أربعين؟..... إذا من الأنصاف أن أتزوج الاربعين المتشابهات من النسوة معا، لأني أغار على زوجتي، لن يختزل حبي الشديد لها قيد شعرة، ولن أسمح لأي شخص العبث بها وبجمالها ولو بنظرة... هكذا اردتها وهكذا تعلقت بها رغم الفراق الذي حال بيني وبينها دون أرادتنا.

لذلك شعرت بأني أحق بهنَّ من الجميع، أحق بتلك الفاتنة التي تجلس قبالتي، وإلا ما سبب الذي دفعها إلى أن تجلس بذلك المقعد الذي شدني إليها؟ لابد من سر خفي دفع بها إلى ذلك المقعد، سر ما يجمعنا، جعلها تركب ذات الباص الذي ركبت به، جعلها تجلس وجها لوجه أمامي، حتى تقيدت بمحاسن فتنتها.

أنا لا أأمن بالمصادفة، الصدفة تأتي حين أكون خارج واقع ذاتي، حين أكون خارج نطاق الفكر والعقل، لكن حين أكون بكامل قواي العقلية فتلك ليس من المصادفة. إذا لا بد من خيط من خيوط الأسرار الغائرة في ما وراء الطبيعة من الميتافيزيقيا شدني إليها، جعلت عجلة الحياة تسحبها من واقعها الرزين لترميها في حوض واقعي العبثي، لتُحَمِلني رِزء تلك الفتاة أو تكشف لها سري.

تلك الاسباب يجب أن يكون خلفها سر خفي، سر غائر في عالمها أو في عالمي، قد يكون سر الهي أو شيطاني، لكنه سر يجمع إرهاصاتي وعبثي بمعالم تلك الفتنة التي ترتديها... لذلك

قررت إذا ما توقفت العجلة؛ أتقدم لها واصارحها بكل ما أختلج الفؤاد به من لاعج وعاطفة تجاهها.

يا ترى؛ هل لمحت أعجابي بها وبفتنتها؟ أهجس بها تعيش في عالم آخر غير عالمي الداني، عالمٌ يفيض بالأشواق والحب والحنان، عالم آخر وردي الون بعيدا جدا عن لون عالمي الرمادي. لذلك كان علي ان أبقى بعيدا عن كل المحيطين بي لأنغمس في أتون عالمها مرة أخرى، أن أبقى متمسكا بظني وهوسي بها، متمسكا بخيط الخيال الذي يرشدني لشواطئ شفتيها؛ لاتبع ضوء الفتنة عن قرب، أتبع صهوة جواد القلب الذي سيوصلني إلى قلعتها بشيء من الحذر والتبصر.

خلال تلك الفترة كنا قد قطعنا شوطا طويلا من مسافة الطريق، دون أن أهجس بالوقت المهموز والمهدور بيننا، لذلك التفت يمينا وشمالا لأنسلت من قبضة المحيطين بي، لأرجع باشتهاء لعالم الخيال الواسع مرة اخرى. لقد وجدت الكل منشغل بذاته في عالم بعيد عن عالمي... ربما هم أيضا غصوا بفتنة تلك الفاتنة أو بعالم أزواجهم وزوجاتهم، أو بكأس النبيذ المتخمر في وجوههم...

ربما الكل تخيل وجهها بشكل ما، يختلف عما تخيلته وتدرجت به، أهجس الكل قد تدحرج لوهدة خيال غص بها. عقدة ما تقمط بها، شغلته عن عالم الوجود، حيث نادرا ما تجد شخصٍ خالٍ من العقد.

لشدة ولعي بها صرت لا أعير أهمية لمحيطي، كأني قد تجاوزت حدود الأدب والمنطق، لأنها في نظري هي زوجتي، ولي الحق في مغازلتها. وفي عودتي إليها لمحت في وجنتيها شعلة تضيء جدران الخيال، أحاطت الشفاه بومضة خافتة من ضوء قنديلها، أضحت كثمرة ناضجة تخفق في الغصن، كقمر يسطع في الليل.

لعطفة الأنف رقة جذابة. فهي لا تختلف عن زوجتي سوى بلون البشرة ونحافة البدن مثلما اسلفت، فلو وضعت شيء من الأساس على سمارها لتكون هي بعينها. كما أني أشك بلون عينييها، وأظنها عدسات موضة الدائرة بين هوس النساء.

لذلك عاد بي الخيال لواحة الغزل، لحالة التسامي والانصهار، للملاحة في ذلك الوجه المنبسط، متأملا تلك الشفاه الغضة. حينها حاولت أن أغمض عيني لأكون قريبا منها؛ لأتحسس جلد الجاذبية بعيدا عن عالم الأنس والجن، لأشعر برقة تلك الشفاه النضرة، لأغوص بفج الفتنة وحيدا دون مراقبة ومزاجية، وددت أن أهرب من عالمي لعالمها المتناهي، كما تفعل النعامة حين تدفن رأسها في الرمل هربا من العدو.

حينها تخيلتها زوجتي تتحرك أمامي، تبتسم لي، تضحك على قدري وإصراري على مراوغتها، على شدة ولعي وانبهاري بفتنتها، كأنها أدركت نجواي وهيامي بها مقابل حماقة أزهقتني وأرهقتها، حتى أني شككت بأن تلك الفتاة هي فعلا زوجتي الحقيقية تحاول التلاعب بمشاعري.

ومـا أن فتحـت عينـي للحظـة؛ حتـى وجـدتُ وجلـي وهوسـي يسـيح كرغـاء زبـد البحـر علـى شـواطئ شـفتيها، هكـذا خيـل إلـي رضـاب الشفاه الندية، وهكذا الروح لاذت بين سحر شواطئها.

مـع أنـي فتحـت عينـي؛ إلا أنـي لـم أغـادر سـقف الخيـال قـط، لـذلك بقيـت أتـأرجح بـين وجـه الفتـاة ووجـه حبيبتـي كبنـدول الـزمن، طارقـا ذاتهـا بنـاقوس أشـواقي، بحيـث يـذهب صـداه بعيـدا، ليعـود مفعمـا برحيـق الخـد وضـوع الشـفاه. صـرت أغمـض عينـي تـارة وأفتحهـا تـارة أخـرى لأتـأرجح بـين الحقيقـة والخيـال، صـار ذلـك الـوجس يغنينـي بسـعادة آنيـة وأنـا التقـي زوجتـي عبـر مجسـات التخاطر وأن كانت بعيدة عني.

مـن خـلال مراقبتـي لمحيطـي؛ هجسـت بالـذي يجلـس بجـانبي بـات يتبعنـي بعـد أن انغمـس بوحـل الوسـن، بـت أسـمع شـخيرا يطـرق مسـمعي. بينمـا فـي الحقيقـة كنـت أهـرب بـذاتي مـن عـالم الـوهم لعـالم الثبـات. كنـت مهمـوزا بالخيـال، أرى الـذي يشـدني إليهـا هـو خـيط نـور يختـرق سـدم الفـراغ الـدائر بيننـا، يرسـم قبلـة الحيـاة علـى تلـك الشفاه.

ومـع درجـات التـأني كـدتُ أصـل شـواطئ قلبهـا، بـت أرى الضـوء المشـع فـي شـفتيها يجـذبني كفنـار السـفن، يزهـق أرقـي وهـواني بلهفـة. أضـحت تلـك الصـورة المليئـة بالشـبق تلتصـق علـى صـفائح الظـن كجمـرة عابثـة، تكـوي قـدري، تلسـع يقينـي. لـذلك أخـذتني الموجـة إلـى عالمهـا الغـائر مـن جديـد، انغمسـت بأنفاسـها وبلـون فتنتها؛ حتى هجست بها تشاطرني رغبتي بها.

مـا أن ولجـت ذاتـي بعالمهـا مـن جديـد؛ حتـى أدركـت لحظـة قطـف درتهـا، تلاشـت المسـافات بيننـا تمامـا، صـرت أتحسـس أنفاسـها، وقبـل أن تمـيس شـفتي زبـد شـفتها وأنهـي فصـل تلـك الـدراما معهـا، كـان السـائق قـد أسـدل السـتار علـى مسـرحيتي معهـا وذلـك حـين دعـس بقدمـه علـى حـين غفلـة علـى نـابض وقـوف العجلـة، لـيعلن علـى انتهـاء مشـوار الرحالـة. لتـرتج أعصـابي مـع ارتجـاج العجلـة وهي تقف في محطتها الأخيرة...

حينهـا صـحوت مـن غفـوتي مشـدوه البـال، مشـتت الفكـر، عينـي تدور في أروقة الفتاة، حينها أيقنت من أنها محمية بسر إلهي.

مـا أن غـادرت العجلـة، حتـى تبعـت خطاهـا ونزلـت خلفهـا وكـل أمـل أن أفـض لهـا مشـاعري.. وقبـل أن أربـت علـى كتفهـا وأخبرهـا عمـا جـال فـي خـاطري؛ أرتمـت فـي حضـن شـاب وسـيم كـان ينتظرها في موقف الباص..

حينهـا توقفـت عـن شـرودي، لأرجـع خائبـا إلـى عـالمي الحقيقـي أجـر خطـى المـرار، متجهـا إلـى عيـادة الطبيـب. أمشـي وتلـك الصـور تتقلـب فـي ذهنـي بشـيء مـن الحسـرة والألـم، كشاشـة تلفـاز أعـادت تسلسـل الاحـداث مـن لحظـة ركوبهـا العجلـة لغايـة لقائهـا بـذلك الشـاب الوسـيم.، تتنقـل بـي مـن لقطـة لأخـرى، لأعـيش أدوار اللحظـات وانـا مأسـور، عائـد إلـى سـاحة الفـراغ التـي وددت أن أهرب منها.

البار

بعد مراجعتي المشفى وإجراءات الفحص اللازمة، لم يجد الطبيب ما يفضي إلى القلق، لم يجد أعراضا تدل على أني مريضا بالفعل؛ لذا نصحني بالرياضة وشرب الماء والمذاكرة وبتغيير حالتي الظرفية التي أنا عليها، تغيير منهج الحياة، تغيير مكان السكن وطرق المعيشة وبعض سلوكياتي وأفكاري وقرآتي، عسى أن اتجاوز أزمتي التي أودت بي إلى التشكيك بصحتي..

نصحني بشيء من ذلك القبيل الذي يفضي إلى حركة أعضاء الجسد كالمشي والهرولة، لزيادة نشاط القلب، لتنشيط الدورة الدموية في الروح وخلايا الجسد، مع الابتعاد عن التفكير السلبي الذي يؤرق الذهن ويرهق البدن.

بعد ان خرجت من العيادة وجدت ذاتي تتطوح في الشوارع دون هدف، الكسل متنمل في عضلات الجسد، الشمس ساطعة في الأفق، الحرارة معتدلة، الناس تروج في الشوارع والأسواق كالدبيب، وأنا ماض في غيٍ، نافرا ذاك الفراغ خلفي، ماض دون هدف إلى حيث أدري ولا أدريٍ، دون فكرة تقودني في مشواري.

أضطرب المخ، الذاكرة مختلة بعناوين مشعبة من جداول أمس، الفكر لا يرتقي لمصاف ألق ذلك اليوم الجميل، لا يرتقي لحالة الظرف ولطافة الطقس والمروج المبثوثة في الشوارع.

تذكرت حبيبتي، وهج ما من ذلك الود طفح فوق زحمة الأحداث، تحرك كضوء يتسلل لمنازل الفكر. جاد بي ذلك الخيط من النور إلى حيث لا أدري، قادني من مجهول لمجهول، بان تأثيره على وجهي يتضح بشكل عبثي مع كل إمرأة أصادفها في الطريق، فضح عجزي ومقدار شرودي لكل من يدقق في ملامح الوجه، وكأن دخان الشوق المتصاعد مع أنفاسي يشهد على جنوني في تلك اللحظة....

أضحى العناء على أشده وأنا مشدوه البال لعناق زوجتي، تلك التي شطحتْ إليها ذاكرتي إلى حدود السحر والألق، فلم أعد أتمالك نفسي، ولم أجد ملاذا يأويني ويشفق على ذاتي في تلك المتاهة؛ سوى أن أدخل بار خمر صادف أن يكون في طريقي.

انحدرت ساقاي نحو ذلك البار، لأعيش حالة تسكع في دروب الأشواق والوله، علني أشفق على قلبي المعنى وأشفع لذاكرتي المخرمة، اعتبرت ذلك التغيير يواكب ما نصح به الطبيب. وددت شطف الذاكرة من المتاعب والكلل بكأس خمر، أزيح بها عناء اليوم وأرقه، أجيل التخبط الذي لازمني وأقحمني في معتركات العقد إلى فيض النسيان بجعة الكأس، علني التمس ذاتي، علني أجلي تشمع الأهواء والغربة والوحدة من على الذهن.

علـى أيـة حـال دخلـت البـار كـ صـائع مجـون، لا يعـرف أن يبـدأ مشـواره. لأنـي فعـلا لا أعـرف تقاليـد الخمـارة وأعـراف المتسـكعين فـي المبـاغي، لا أعـرف أن أتفـاهم بلغـتهم، ولا لـون دجـنهم، لـذا جلسـت فـي ركـن مـن أركـان البـار علـى كرسـي خشـبي ومنضـدة زجاجيـة تحـت أضـواء مصـابيح فلورسـنتيه تشـفق فـي ضـيائها داخـل العتمـة، مـع صـفير صـمت هـادر يعـم البـار المغلفـة جدرانـه بأقمشـة قطيفـة حمـراء، ممـا تـوحى لأجـواء مسـائية، فـي ظـل وحشـة صاخبة تعم الذاكرة، وشعورٌ مليٌء بالضياع والنسيان.

بقيـت مترنحـا وأنـا سـاه فـي مقعـدي؛ حتـى جـاءني النـادل وتكلـم معـي بلغـة لـم أفقـه مـن حديثـه شـيء، لكنـي ذكـرت لـه كلمـة الويسـكي والبيـرة. فهـم المغـزى، الكلمـات معروفـة معانيهـا بكـل اللغـات، لقـد تفهـم الطلـب... ذهـب ثـم عـاد بعـد دقـائق وفـي يـده صـينية صـغيرة تحتـوي علـى كـأس مـن الويسـكي وقـارورتي بيـرة وصـحن مـن النقل.

صـرت أشـرب دون أن أبـالي للجالسـين بمحيطـي، بـل صـرت أقلـدهم، مـع ارتشـاف الكـأس الأول هجسـت بالشـرطي أو حـارس البـار يراقبنـي، هكـذا خيـل إلـيَّ، واقـف أمـامي بمـدخل البـار، هجسـتُ كأنـه يراقـب سـلوكي وتصـرفاتي بقصـد، ربمـا شـك بـي كشـخص عبثـي كـوني أول مـرة أدخـل البـار.... إذا جـاء يراقـب عبثـي ويبحـث عـن أسـراري كمخبـر، تهجـس فـي وجهـه تكمـن علامـات فارقـة كوجـه مجـرم مشـفرة بمطـواة، هـؤلاء الـذين شـطفت وجـوههم مـن الرحمـة والمغفـرة، وجـه جهـم، ناشـف، فيـه مجانـة وعنف وصلافة...

تخيلت ذلك الشرطي كعامود النور بوجه شيطانيٌ، لضخامته وطوله الفارع، ظننته شيطان يراقبني دون الآخرين، يبحلق بوجهي وفي عينيه نظرة شزرة وأنا أحتسي الخمرة، بت أنظر له بين الفينة والفينة بوجس، كأنَّ شعلة الغضب تنفر من منافذ وجهه. وهو واقف في الظل تنعكس على وجهه أشعة خافتة، متذبذبة؛ هجست به كلوحة جدارية ترتع بقبح الصفاة من تبجح وجسارة وغثاثة.

من خلال الملاحظة على فترة وجودي بالبار؛ أنا الوحيد الذي أهتمَّ بوجوده، صرت أراه بضني وضميري وخيالي. تراءى لي يتحرك في مكانه مع موجات فكري المضطرب، يراقب حركاتي، يسجل ملاحظاته، ربما لكوني أول مرة أدخل ذلك البار.

هكذا خيل إليَّ ذلك الشرطي الذي دخل مع دخولي البار، ليقف في زاوية المدخل يتجسس على سلوكي ومجانتي. في البداية شعرت بضيق نفسي، ثم مع الوقت تناسيت وجوده وأقحمت ذاتي في تجربة التغيير التي وددت بها أن أفك كربي، فلم أجد طريقة أنجد بها نفسي المريضة من مخمصة التفكير السلبي الذي لازمني وماحقني؛ سوى أن التجئ للبار الذي صادف وجوده أمامي.

لذا قررت أن أستمر بغيي دون إشغال ذاتي بالشبح الشاخص أمامي، تناسيته، اهملت وجوده. صرت أحتسي الجعة دون مبالاة، شربت حتى ثملت، حتى تراخت ساقي وخلَّ الجسد

تماسكه، فض المخ شحنات الهم والغم، تخلى عن كل شاردة وواردة دخلت فيه، صارت الذاكرة أشبه بكويكب تدور في الفراغ المحيط بي، لا تحتوي سوى صور زوجتي وهي تبعث بإشارة استغاثة لي.

أضحى فضاء مخيلتي معرض صور لها، خلتها تمشي معي، تضحك معي، تلاعبني، تمازحني، جعلتني أدركُ خيط الجنون، كأنَّه يرشدني إليها، يحثني على مناداتها لأخطفها من يد القدر، من عبث تلك الوجوه الخائرة، العابسة، الجالسة من حولي، الذين لا أفقه لغتهم، الذين لا يرتقون لشخصيتي ومكانتي، ولا أطق سقمهم وشعوذتهم.

ثم تماهت صورها بسدم ذاك الفراغ، بت أبحث عنها في صحف أمسي، فراغ يؤطر فراغ، فراغ داخلي وآخر خارجي، شتت الذهن، طمرت الذاكرة سوى من أسمها، تركت ندب شك في قدراتي وتخطي عجزي...

هكذا صرت أدور في متاهة من العبث والجنون في ظل مراقبة الشرطي الماثل أمامي، أدور في معمعة لا أعرف كيف أخرج منها، لأقطع الشك باليقين، لأعيد ذاتي لأجواء ما قبل الهجرة، أو لأجواء ما قبل السكر.

انهمكتُ بشيء لا أعرف له اسما، لا استطيع تحديد ملامحه أو أن أمسك بذوائبه، يبدو كضوء يتراقص أمامي، تراءى كطائر الستل العملاق، ود نهش وجودي وتأريخي، صورة مختلقة من كل الألوان، لا تبرز فيها سوى خطوط شك غامضة، جعلت

فكري يضمحل في طياتها، تنقل بي من عمق لعمق بحثا عن اليقين، عن عالم حر حقيقي يأويني.

تشبثت بذلك الوهم، راغبا أن أخرج ذاتي من قوس الشك، أن أعود لعالمي الحقيقي، حسبتها عائمة في ذلك المد من الفراغ الواسع كطائرة ورقية، أطير في أجواء مبهمة مع عصف الريح، لا أدرك حقيقة قدري، ماضيا بصمت في سدم السكون، لا أسمع سوى همس يتخللني من خلف حاجز خفي، يدعوني لاتبعه، صرت أمضي خلف شرودي وخلف ذلك الهمس، لا أعرف إلى أين تأخذني قدميَّ خلف ذلك الوهم في تلك المتاهة من دروب العناء.

بت أتبع قدمي المنحدرة دون أعي حقيقة تلك المتاهة، خرجت من البار متبعا ظني خلف همسة شككت بأنها تخص حبيبتي، وأنا خارج من البار كنت قد اصطدمت بذلك الشرطي الذي كان يراقبني، تحسست جسده، فلم يكن سوى ستارة جانبية، يعتليها مصباح من الفلورانس الخافت، بدت لي كشبح تحت الأضواء المتداخلة.

تركت البار دون أن أدفع قيمة المشروبات، خرجت إلى الشارع الذي تهت بمدخله ومخرجه؛ حتى صار النادل يتبعني مناديا عليَّ بأعلى صوته دون أن ألتفت إليه. كان قد لحقني على أول الرصيف، صار يكلمني وأنا لا أفقه شيء من مغزى حديثه؛ للغيلان الذي ركب أدراج المخ.

حينها كنت تركت عالمي الواقعي لعالم المجون، أدركت درجة انتزاع شخصيتي عن ذاتي، درجة النسيء وفقدان الوعي، فلم أفقه ما كان يدور حولي؛ لكني تحسست يد النادل قد أدخلت في جيوبي، أخرج محفظتي، سلت منها ما سلت، ثم عاد ودسها في جيب سترتي الجانبية، ثم دلقنِ بيده، حتى أني لا أعرف كم كان معي من نقود وكم سلت من مصروفاتي مقابل مستحقاته.

هم في حقيقتهم بائعي جور وذمم، ليس لديهم أية قيم، يستغلون من هم على شاكلتي أسوء استغلال، ليسرقوا منهم ما تطاله أياديهم. لم أدرك ذاتي إلا بعد عودتي للمنزل والذي لا أدري كيف عدت وكم كان معي من نقود في محفظتي، لأني وجدت المحفظة تصفر، خالية سوى من هويتي.

ربما أخذ أضعاف القيمة المطلوبة، لأنهم يستغلون المتعاطين في هذه المواقف، ومن حقهم أن يستغلونهم، فما الذي أجبرهم على صرف تلك المبالغ في المباغي والبارات والأماكن القذرة التافهة دون فائدة، ترى أيكون الإنسان ذا عقل أن يشتري وجع رأسه ودوخته بالمادة التي يعيش بها؟. وما جدوى أن يسكر الفرد ويرمي مصروفه في قنانٍ تفقده كرامته ومذهبه.

المهم تراخت أعضاء جسدي وصرت أمشي في الشارع دون يقين، أهجس بساقي تطير فوق الثرى كغزالة تهزع بحقول خضراء، صارت الأرض تهتز تحت قدمي، شعرت بقليل من النشوة المطلية بالسخط وهوان يركبني بشيء من الحسرة. وأنا ماضٍ في طريقي خلف هاجس الصوت الذي صار يطنب أذنيَّ،

وجـدت ذاتــي تنحـدر فــي متاهــة خلـف فتــاة آيــة بالجمــال، وكــأن الصوت آت من لدنها..

كـان اليـأس يـدفعني إلـى احتضــان حبيبتــي قبـل أن أحتضـر، لـذا دون أن أدرك حقيقتـــي وجـــدت قـــدمي تتبـــع خطـــوات تلـــك الفتـــاة، كانــت قـد تجــاوزتني خــلال الطريــق، صــرت أمشــي خلفهــا فــي شـارع مفتـوح لا أعـرف إلـى أيـن يـودي بـي، هجسـت بـذاتي مـأمورة من قبل شيطان تلبسني وأغواني.

مضـيت أسـير خلـف تلـك السـيدة المؤنقـة، بـدت لـي بـألق وقيافـة زوجتـي، لمـا تحمـل مـن أناقـة وفتنـة، وخاصـة وهـيَّ ترتـدي قميصـا مقـور مـن الظهـر، كاشـفة فتنــة المـتن واسـتقامة الظهـر. صــارت الظنـون كلهـا تصـب فـي خانــة زوجتـي، لمـا لاح ذهنـي مـن شـبه ذكرنــي بهـا، لـذا حسـبتها بـذاتها زوجتـي، ميزتهـا مـن خـلال الطفـح البـائن علـى كتفهـا كوشـم شـدني اليهـا، إضـافة لمـا ترتـع بـه مـن لـين وطــراوة وقــد ممشــوق، تبعتهــا وهــيَّ تشــد أزري لألتحــق بهــا، ففاض بي الشبق لمعانقتها..

تبعـت تلـك السـيدة لمسـافة لا أعلـم مـداها، كنـت أهجـس بهـا تمشـي بخطــوات أســرع مــن خطــواتي، كأنهــا تهــرب مــن مــواجهتي، تخيلتهـا هكـذا، كأنهـا هجسـت بريبـة فـي ملاحقتـي لهـا، لـذا تخطتنـي بسرعة فاقت سرعتي..

كنــتُ أمشــي بســاقين وكــأني أمشــي بعشــرة، للســرعة التــي كنــت أعـدو بهـا، أهجـس بـذاتي تطيـر فـي الهـواء؛ رغـم ذاك كانـت قـد سـبقتني مسـافة طويلــة بخطواتهــا. كنــت أهفــو خلفهــا بخطــوات

متأرجحة، فلم ألحق بها حتى أوقفها عارض نقطة عبور الشارع للجهة الثانية؛ انتظرت إذن إشارة العبور، حينها أدركتها وأنا مجهد في شكلي وبدني، العرق يتفصد جبيني، ترطب تلبيب القميص بندى العرق، حينها ربت على كتفيها وقلت لها:...

- ما بك يا صدف؟ لِمَ تهربي مني؟..... الست زوجتي؟

شنفتني بعين شزرة ملئها غضب، ثم صفعتني بكفها على خدي لتقول لي بشيء من الكبرياء:...

ألا تكف رعونة أيها المراهق، أمشي من هنا يا لغوب، يا مجنون... يا سكران، يا تافه....الخ من شتائم غسلتني بها.

بقيت صاغرا بوجهها وأنا أتمعن في ملامحها بعينين غضنتين دون أن أنبس بشفة، دون ردة فعل تجاه سلوكها. بصفعتها لي أزاحت غشاء الوهم عن عيني، أعادتني إلى عالمي الحقيقي. وإذ بي أكتشف على حين غفلة من أمري بأنها ليست زوجتي، ولا لها ملامح تشبهها قط، كل ذاك الخيال والتخيل تبخر من رأسي، تماها كدخان في مهب الريح، كفوطة نشفت تحت لهب صفعها.

بصفعتها أعادت إليَّ رشدي، صرت أرى الأمور على حقيقتها، صارت الصورة تتضح ملامحها رويدا رويدا، أشبه بعدسة الكامرة حين يختل زومها، شف الغواش من أمامي، أضحت الصورة دقيقة، ذهب عنها هالات الأغراء والإغواء والإثارة والتأليب والتهييج.

تبين لي بأنها لم تكن أنيقة مثلما تخيلت، لم تك مقورة الظهر، ولم تك فتاة شابة مثلما تصورت، ولم يكن بينها وبين زوجتي أيَّ شبه.. أنها عجوز، شمطاء، تتشابك خطوط السن في وجهها، ساقيها أشبه بعكازتين لصَغَتا على جلدها. لم تكن تملك عجيزٍ مغرٍ، ولا لها فتنة في ثنايا الجسد. كانت تبدو عبثية في لبسها وهي ترتدي معطف وشال على الكتف.

ما أزعجني وأرهقني عبارتها التي لفضتها بوجهي:...

- مراهق، لغوب، مجنون، سكران، تافه....

كانت تفقه العربية، ربما كانت من اصول عربية. لا أدرِ لِمَ نعتني بتلك الصفاة؟ هل لأني كنت ثملا؟ أم أني أسأت الأدب في سلوكي دون أن أعلم؟ أم فعلا أني مجنون وتافه في نظر الآخرين.

أحيانا الإنسان لا يدرك انحداره ولا يفقه سلوكه وتصرفاته إلا حين يصدم بموقف مغاير لما يبتغي، ليرتد إليه وعيه وسلوكه، ليلتمس الحقيقة التي لا يراها. أحسب نفسي كانت تائهة عن سراطها، فلم أتحسس الموقف إلا لحظة الصفعة...

صرت أتبع هوسي وجلدي بشيء من الندم مع كل لحظة مرقت بين يدي، تبعت إسهابي في خيلائي، حتى وقفت على دكة الصمت أدقق بوجه تلك الشمطاء بعد أن أوقفت غيي بصفعها لي. رغم أن يدها كانت ترتجف وصفعتها لم تكن قوية، لكنها

كانت ثقيلة وشكيمة اوقفت نزف شرودي، نقلتني من الخيال إلى الواقع.

أخذت زمنا وأنا شارد الذهن، ربما أخذتُ من الوقت أكثر من حقه، حيث تاهت علي الحسابات؛ حينها كانت قد غادرت المكان، ابتعدت عني بعد أن تركتني متسمرا في مكاني كعمود النور. حينها أدركتُ لِمَ هؤلاء الصِيعانٌ يمكثون في البارات، يبحثون عن ذواتهم التائهة في كأس الخمر.

غادرت وبقي طيفها يراود ذاكرتي، كأنها تألمت حين صفعتني دون أن أرد عليها، لذا تركتني وهي خجلة من ذاتها.

باقة ورد

كنتُ قد تعرفت على ورد، وهي فتاة جامعية غاية في الرقة والجمال، بشكلها وطولها وأناقتها ونضارة ملامحها عجبت بها مثلما هو اسمها، تهجس بالفتنة تلبسها، تتوزع على قامتها كالنضارة المراقة في تويج ورد.

بعد اشتداد عصف اللهفة والهيام، ركنت ذاتي إلى العزف على أوتار الغرام. صرت أجد ذاتي بها، افكر بشكل مبالغ بها، لا أستطيع تفادى ذكرها قط، أتبع سرها وهواها، أذكرها بمناسبة أو دون مناسبة، المشاعر في تواصل روحي معها، لتستوعب ما أبغي واروم أليه.

في عيد ميلادها كان لابد من مفاجئتها بباقة ورد تليق بها، تفرحها بمرور أحدى وعشرين سنة على فتي عمرها. أنها مناسبة حميمة لتقترن المشاعر بفيض الأشواق، وخاصة كانت قد كبرت ونضجت بما فيه الكفاية لتقرن ذاتها بمن يقدرها ويحترمها ويحبها.

غدتْ أكثر رقة ورهافة وعذوبة، غدت تبحث عني وتستمع لي، تحاورني في كل المجالات، تزيدني شوقا بها. لذا وددت أن أتحفها بمشاعري بمناسبة أو دون مناسبة، لأزيد أصرة المحبة، لأستمتع معها بيوم جميل، إذا ما عرفنا أنها من مواليد برج الحمل، أي برج المنافسة والنشاط والطاقة والحرية والرقة وتقلب المزاج، الذي لا يتوافق مع برجي الترابي (برج الثور).

تلك الملاحظات كنت خائف منها، لأنها قد توقعني في مطبات الشك والريبة؛ إذا ما قارنت صفاتي بصفاتها، ومزاجي بمزاجها. فإذا ما جزلنا المزايا والتناقضات بين برجينا، ولمستُ تأثيري الشخصي بها وتأثير شخصيتها بي، نكون قد وضعنا النقط على الحروف..

لذا كثيرا ما كنت أسير معها كاللص، دون شوشرة، متخفيا تحت وهج الشك والحيرة، كي لا أثير حفيظتها. أشعر بها كطفلة تلهو بعالمي، مغنجة بالدلال، كوردة ربيعية تغشيها النزاكة. لذا كنت أتلافى العند والمجادلة، أبتعد عن محطات الجنون التي تربك أهوائها وفضائها..

هذا ما أشعر به وأنا أسير بحذر خلف هواجسي وهي تفيض بلون الشك في تصرفاتي، فلا يقحمني في صرة العقد سوى ذلك السوط الذي يريبني كثيرا، حين يشف الذهن بالسخط والعند الذي تتصف به حبيبتي.

على أية حال اتجهت لمحل بيع الورد لاقتني باقة تليق بتلك المناسبة، الاحتفال بها أضحى عادة وروتين، وهي مناسبة جيدة

أذكرها بالعهد والوفاء الذي أكنه لها، لترسيخ الثقة والمحبة بيننا، فلا يثمن الورد سوى الورد.

حينها كنت قد دعوت زميلي وصديقي صفاء لحفلة عيد الميلاد، وهو أحد المقربين لي، كان على اطلاع تام على بتفاصيل علاقتي بورد، وكنت قد أبلغته بنية الزواج منها، لذا وجدت فرصة لأشركه فرحي بها.

حين دخلت محل الورد، إذ بي أفاجأ بفتاة أكثر رقة وهيافة من الورود المعروضة تبيع الورد، فتاة تحمل من نزق العذوبة ما يوصف بالسحر، بأناقتها وجمال شكلها وطلتها وحسن إدارتها لمحل الورد؛ غطت على مباهج الورد، فهي لا تقل فتنة وأناقة عن حبيبتي ورد قط، وكأنها هي بذات السحر والبهاء.

حين دخلت محل الورد قلت لذاتي ليس من المعقول أن أختار باقة ورد بنفسي وتلك الفاتنة ذا اختصاص تعمل وتوظب الورد بشيء من الخبرة والذوق. طالما تعمل في المحل، وطالما هي أنثى وأنيقة! حتما ستكون ذا خبرة وذوق، وخاصة لأذواق النساء درجة في الاختيار واستقطاب الورود وتنسيق ألوان الباقة..

أكيد أصبح لها خبرة بتنسيق باقة الورد للمرضى وأصحاب عيد الميلاد والنجاح والفوز واستقبال عزيز بعد فراق...الخ من مناسبات، بحيث كل مناسبة تحتاج لنوعية من الورد تكون أكثر تعبيرا عن المناسبة. هكذا توزعت خبرتها وتشعبت وصارت ذا عريكة بهذا المجال. كما صارت لها معرفة بأذواق الفتيات

والشباب والكهول من العجائز، فالعملية ليست سهلة واعتباطية، أنما تدخل في مجال الفن ومعرفة أذواق الناس.

لذا مال ذهني لأستعين بخبرتها وذوقها، لأستطيع أن أرضي ذوق حبيبتي (ورد) بسحر ذوق هذه الفاتنة.

فقلت لها وبمجاملة:.....

- مساء الخير
- مساء النور
- ما شاء الله، في عين الحسود عود. تبارك الرحمن، الرقة والجمال ترتدك من رأسك لأخمص قدميك، وأنت أهل لها.
- شكرا على إطرائك. تفضل هل من خدمة؟
- نعم ليس من المعقول أن أفرض ذوقي على صاحبة الذوق والاختيار وأنت تعملين في ميدان الورد بهذه الأناقة والرقة، لذا أود أن توظِبِي لي باقة ورد جميلة بمناسبة عيد ميلاد حبيبتي، وهي بعمرك وعلى شاكلتك من شياكة وذوق وأناقة، وأظن ذوقك سيعجبها.
- على الرحب والسعة، ممكن أن تجلس على الكنبة دقائق حتى أجهز لك الطلبية.

وما هي سوى دقائق قليلة حتى وظبت لي باقة من أجمل ما يكون، فيها لون الخردل والزعفران واللافندر والياسمين والجوري، كورت تلك الباقة بورق سليفون لماع، ثم ربطته بشريط وردي ليوائم المناسبة بهجة والق. فيما كان صاحبي

صـفاء إكرامـا لـي أقتنـى وردة توليـب واحـدة ليهـديها لـورد بتلـك المناسبة.

أخـذت باقـة الـورد واتجهنـا لـدارها التـي تقـيم فيـه احتفالهـا، كـان احتفالا بسيطا يختص بالعائلة والاصدقاء وزملاء الدراسة.

طرقـت البـاب وكأنهـا كانـت تنتظرنـي علـى أحـر مـن الجمـر، فأنـا الوحيـد الـذي أهمهـا، الوحيـد الـذي تنتظـر هديتـه بشـوق ولهفـة، الوحيـد الـذي تبحـر معـه فـي العواطـف والمجـاملات. أمـا البـاقون مـن الـزملاء، فالعلاقـة فيمـا بيـنهم علاقـة تسـليك وقـت وصـحبة لا ترتقـي إلـى درجـة الاهتمـام، أقـل شـأنا وقياسـا لمـا يجمعنـي بهـا. لـن أتـوانى بـربط مسـتقبلي بمسـتقبلها أبـدا، فلـيس لـي فـي الـدنيا مـا يشغلني سوى محبتها...

لـذا مـع طرقـي البـاب كـان قـد فـتح، وكأنهـا كانـت تتـأملني خلـف حـاجز البـاب، اسـتقبلتني بوجـه مشـرق، ملـيء بالبهجـة والسـرور، قدمت لها الورد مهنئا بعيد ميلادها السعيد قائلا لها:.....

- كـل عـام وأنـت بخيـر، وكـل عـام وأنـت حبيبتـي يـا أجمـل فتـاة في الدنيا...
- شكرا لك على الذوق والإحساس، تفضل.

أخـذتني بالأحضـان ثـم رحبـت بزميلـي صـفاء، ثـم سـألتني علـى جنب وفي شفاهها تكمن ابتسامة لطيفة فيها استغراب، قائلة:....

- حبيبـي؛ أنـي أعـرف ذوقـك جيـدا، منـذ متـى وقـد أرتقـى ذوقـك إلـى هـذه الدرجـة مـن الرقـة والأناقـة، بحيـث باقتـك فاقـت

أذواق الجميع من الذين سبقوك.. أقصد من وضب أو وظبت لك باقة الورد الجميلة؟

- لا اخفيك سرا، بائعة الورد لا تقل عنك فتنة والقا، وهي من عمرك، ولأن ذوق المرأة أرقى من ذوق الرجل، لذا استعنت بها.
- شكرا لك على الصراحة.
- ولكن كيف عرفت؟
- لقد شممت بها رائحة أنثى، هل نسيت بأني أنثى؟
- المهم راقت لك؟
- أكيد، المهم حضورك. ..

قالت ذلك وهي تهز كتفيها، ثم أدخلنا للبيت لنجد شلة الدراسة مجتمعة، شربنا العصائر وتذوقنا كيك عيد الميلاد، ثم انشغلنا بالرقص والغناء الجماعي حتى ساعة متأخرة من الليل.

خلال تلك الفترة هجست بها وكأنها قد مسها جنون العظمة، تغير مزاجها الذي أعرفه من جانبي، فلم تبتسم كثيرا معي، ولم ترافقني ولا تجاملني مثلما كنت اتأمل، هجست ببرود في العلاقة من ناحيتي، فيما اندمجت مع الباقين من الزملاء وبروحية تختلف عن تلك التي أبدتها معي. حتى اني وددتُ أن أترك الاحتفال، لولا خجلي ومكانتي في قلبها وفي نظر رفاقي الذين يعلمون درجة علاقتي بورد.

بعد انتهاء الاحتفال بحدود الساعة الحادية عشرة مساءا، غادرنا جميعا البيت. ما أن وصلت لسكني، حتى وصلتني رسالة منها تقول فيها:.....

- أنا أشكرك على باقة الورد الجميلة، وهي أكيد باقة ثمينة ومكلفة، لكني من جانبي تأملت أن تكون من ذوقك وليس من ذوق صاحبة الورد، وبذلك هي التي قيمتني ولست أنت. لذا أرجو منك من اللحظة أن تمسح رقمي من حسابك الشخصي، ولا تحاول أن تكلمني، لن أرضى أن أكون حبيبة من ليس له ذوق يقيمني في عيد ميلادي، لا يثمن قدري إلا بنظر وأنفاس غيره. من جانبي سأعتبر ما كان بيننا مجرد ذكرى وتجربة تعلمت منها الاختيار الصحيح. وعسى ان تكرهوا أمرا فهو خير لكم. مع السلامة....

ورد

كأني طعنت بنصل خنجرها في الظهر... ترى لم هذا التجني؟ وهل كل الفتيات بهذا المزاج والسلوك؟ أهجس به سلوك نفاق، لا يرتقي إلى حقيقة المشاعر، وهل كان لي في قلبها وخزة تذكرها بي؟ ها انا قد خسرت ورد وما كنت أود قطفه... مع ذلك بقيت تدور في فلك مخيلتي كدورة القمر حول الأرض، تَغير على خواطري مع كل إطلالة مساء، لتزهق فكري في سهاد الشوق، تزف الأرق لأحداقي، تقلب مضجعي في هجوعي؛ حتى ينفد كأس الذاكرة من ذلك العبق.

بعد أشهر من عيد ميلادها، أعلنت خطبتها على زميلي صفاء، الذي كنت أحسبه أقرب الناس إليَّ، الذي دعوته بنفسي لحفلة عيد الميلاد.

نعم حزنت فترة ولكن قويت عزيمتي وبت أكثر حرصا، ويبقى سر مزاج النساء لغزا عند الرجال، فمهما فعلتَ من احسانٍ في هذه الحياة، لن تستطيع استيعاب حجم الغدر والمكر أبدا.

كنت أحسبه خل

ما أن صحوتُ حتى تخلا

ليت الوفاء مثل الهوى

يزرع في الانفاس وصلا

فاعلم يا رفيق الدرب

يامن كنت له ظلا

الأهواء لا ترتقي بنا

انما كرامة الصدق والعقلا

لسعة نحلة

من نظرته الأولى التي تبجح بها إلى عينيها، كانت قد أسرت قلبه، لمح شعلة الأنوثة تتقد في مفاتنها وهي تقف أمامه كالصقر في طابور المراجعين، تنتظر أن يحين دورها في تكملة معاملتها. منذ الوهلة الأولى هجس باضطراب خض فؤاده، أنه البركان، شفق الحب طفق بدأ يخفق في داخله بشيء من الحيوية والهمة.

كان يفصلها عنه عددا من المراجعين، الوقت عصيب، الساعة تجاوزت الواحدة ظهرا، صار يبذل قصاري الجهد في تسليك معاملات مراجعيه، أملا أن يدركها قبل نفاد الوقت الرسمي للدوام، ليتمكن من أن يحادثها وينجز معاملتها، ليوثق حبل قدره بعجلة قدرها.

بجبروت قامتها ومفاتن وجهها الأخاذة، كانت قد سحرته، هجس بها قمرا تضيء ليله، انتهكت آفاق فكره، استباحت صمته، حيرته بسحر السمرة الذائبة في غرين بشرتها سلبته رشده، تغير سلوكه، ألبسته ثوب الرزانة والعفة والطيبة. بفيض ألقها لسعته كنحلة، أطنبت أذنيه برفيف أجنحتها، شدَّته إلى

عالمها دون غيرها من الفتيات، صار يتبع ذلك العصف من السحر دون إرادته..

منذ تلك اللحظة طفق يحوك برواز العشق ستائرا لعينيه، أبرم شغف القلب بهيافة فكره. وقوفها المنفرد في الطابور لفت نظره،، وجودها جاء بعفوية، ببراءة، لمْ تقصد أثارته، لمْ تفكر بشخصه قط، الصدفة والحاجة جعلتها في المكان. من جهة أخرى بجاحة نظراتهِ أشعرتها باهتمامه، حينها عزفتْ لحن الصمت على اوتار فكره، ركبتْ موجة الغرور، فسعى خلف شاطئها بحبور، كانت قد هزت كيانه دون أن تعي ودون أن تعني ذلك.

لم يصبر على ما أصابه من هلع، انحدر خلف غبار العصف دون إرادة منه، حاول التشبث بقارب النجاة المنحدر نحو شاطئ الفتنة الماثلة أمامه كالطود، تحسبا من التيارات الأخرى الجارفة، ولصلصة الأعين المحيطة بها.

لقد حلت بعالمه الفسح كاللحظة المارقة، كشهب أنارت سمائه، اهتزت أساريره، جعلته يلتفت إليها بعفوية وهو غير متحكم بإرادته، جعلته يكون ملما بأمرها، مدققا في تفاصيل قامتها، برشاقتها وحسن قدها دون حرج، محاولا تفادي اهتمامات المراجعين بها ومن همَّ بسحر تلك الفاتنة.

تلك الفاتنة بسحر طلتها كانت قد جردته من هدوءه، كركبت أحجار فكره، قلبت موازين كيانه، أضحت نظراته للمراجعين فيها تأفف، تختلف عما كانت عليه قبل أن يشعر بوجودها،

تختلف عن كل الذين رصدوا القها وسحرها. لذا مضت سهام عينيه تخترق الصفوف كسهام ود وتخاطر، اختلقت شيء من الفوضى في خاطرها، لتميزها عن نظرات المتحلقين حول فسيفساء لوحتها. من جانبه صار لا يرى في الوجوه المصطفة امامه سوى صورة واحدة جذبته لواقعها.

ما أن شاهد ملامحها؛ حتى خر ساجدا إلى أذنيه، قيدته، محت من ذهنه عالم النسوة العابرة على ذاكرة لاحظيه، الغت من حياته جميع البروتوكولات والمناهج السابقة التي كان قد التزم بها أو عد ذاته لدراستها، تلك التي ود تطبيق فقراتها قبل أن تحل في عالم خياله.

تلك الرقطاء، الماجنة، عبثت بالروتين الدائر في عمله، جردته من عبودية السياق المعمول به، نقلته من حالة الروتين إلى عالم الضياع والمجانة، إلى مسرح الخيال والرجاء دون أن يتحكم بإرادته. نقلته لعالم التجرد والسكون، لوهدة الحيرة والوله والتبجح، لفكرة الاختبار والاختيار والاستقرار.

صار يتجول بخياله في أروقة تلك المباهج كطير مهاجر، تخطى بنظراته الحادة حدود المنطق والوظيفة. تميزها الغير معهود؛ جعلته يتخطى الوجوه التي عرفها من قبل وتلك المتواجدة في محيط عمله والمصطفة أمامه في طابور من مراجعيه.

ما شجعة على المجازفة؛ كان قد وجد في لحاظ عينيها الواسعتين فسحة أمل، تعينه على قدره المترهل، لإدراك

فـردوس حلمـه. وجـد فـي قامتهـا مجـالا رحبـا، ينطلـق منـه لعـالم الخيـال الواسـع. لـذا تلاقـت مراكبـه، أضـطرب قلبـه، ظـن فـي ذوائـب شـعرها المـتفحم دليـل طيفـه، وفـي نـور وجههـا الوضـاء مـرآة سـعده. بـات يشـهق فكـره فـي عـالم عـديم اللـون مـن المجانـة والهوس والصبابة.

كانـت قـد أربكتـه بنظـرة عـابرة، بريئـة مـن عينيهـا الملظتـان، مـا أن اسـتقرتْ علـى أوشـحة لاحظيـه؛ حتـى هجـس بلسـعة تغـز الفـؤاد، لمـس فـي تلـك النظـرة عصـف تجـرد، جردتـه مـن كبريـاءه، جعلتـه يدور كقشة في دوامة العصف التي افتعلته في داخله..

كانـت قـد لمسـت ارتباكـه، تحسسـت ضـعفه واضـطرابه، تراشـقت العيـون، تشـابكت خيـوط الظنـون، تعشـقت الرغبـة بجدليـة التحـدي، صـارت مسـامير الـود تطـرق جـدران شـموخها، ليعلـق سـترة أحلامـه السـادرة عليهـا، عسـى أن يجلـب أنتباههـا، أن تضـطرب مجسات خواطرها.

كـان قـد هجـس بعصـف سـحرها مـن خـلال الإضـاءة المشـاطة فـي قوامهـا الرشـيق، وفـي ذوائـب الفتنـة المنفلتـة مـن وجههـا، مـن اللمعـة الغافيـة فـوق سـحر البشـرة، والرقـة المتجولـة فـي ثنايـا الشـفة، كـل شيء فيها مبهج كلآلئ عينيها.

فـي وقفتهـا كانـت متذيلـة الطـابور، وكأنهـا يمامـة تهجـس بـالخطر، تـأن مـن خـزر العيـون المتحلقـة بهـا، وكـان فـي كرسـيه يسـن صـبره، حتـى تـأين القلـب بشـرارة فتنتهـا. مـا أن استسـلمتْ جوارحـه؛ حتـى أعتمـل علـى تسـليك معـاملات زبائنـه بعجالـة غيـر معهـودة، وبكيفيـة

سرهم بها، أنهي الزحمة من عالم قلبه، أملا أن يتعرف عليها قبل نفاد الوقتْ.

ما أن أدركت شباكه حتى وقف على قدميه مرحبا بها، كان مبهورا بفتنتها، مرتبكا بفكره ولسانه، ببحة صوته الخافتة أشار إليها بالجلوس، ليستمع لطلبها ويستمتع بحضورها وأناقتها وجمالها وحسن صوتها.

كانت قد التمست اهتمامه وارتباكه والتباسه في عمله، هجست بنظراته إليها دون المراجعين الذين سبقوها. تلكأه في حديثة فسر لها عقدته، أفتقد شيء من التركيز والتوازن في حضرتها، هجست بشتات فكره ومسحة خجله.

باهتمامه المتزايد كأنَّه قد طرق على باب نافذتها قبل أن يطرق باب قلبها، أشعرها بإعجابه بها، بل أنه تجاوز بروتكولات التعامل معها وهو يدشن سلوكه بشيء من عبارات الترحيب الملونة، ود بذلك أن يلفت نظرها.

ربما المسألة طبيعية بالنسبة لها، فهو ليس أول من لفتت نظره فتنتها، لقد حاول الأستاذ فؤاد كثيرا أن يفك شفرة قلبها دون أن يفلح، لاعتبارات عدة تخصها، قد لم يرتقي لصفة الحلم والأناقة المرسومة في مخيلتها.

أما ميثاق المتوكل: كما مدون أسمه على لوحة التعريف الخشبية المعروضة فوق مكتبه بخط النسخ العريض، يختلف

بملامحه وجاذبيته وأناقته وشفافيته عن الاستاذ فؤاد وعن الذين داروا حولها من قبلُ...

بقي سؤال يدور في خلدها، يا ترى؛ لِمَ موظفو البنوك هم أكثر أناقة وشفافية من فئة المعلمين؟ هل ذلك يتبع شروط التعيين، أم التربية، أم لاختلاف ماهية العمل؟

في الحقيقة دائما ما ينشغل المعلم بالفكرة المطروحة أكثر من الأناقة التي يرتديها، عكس موظف البنك، الذي يعتبر شياكته ميزان عبوره للمجتمع وواجهة لدائرته. كما أن المعلم يتعامل مع فئة المراهقين، فالحاجز بين الأثنين يتلاشى مع مرور الزمن، فيضطر إلى التنازل عن موقعه وكبرياءه، ليكون بمستوى تفكير وسلوك طلابه. لذا يقع فريسة فكرة التجريد التي تكيل أهمية للمادة المطروحة على حساب الشياكة والمظهر الخارجي، ومع مرور الزمن تنصهر شخصيته بشخصية التلميذ، فينسى ذاته وقيافته.

أما موظف البنك فأنه يتعامل مع طبقات مختلفة من المجتمع، ينغمس بروتين المقابلات والبروتوكولات المختلفة، لذا فأنه يكتسب ثقافته من منابع مختلفة، دائما ما تجده يتطلع على متجددات العصر، كما أنه يُنشئ صداقات وعلاقات متنوعة، تجعله يعتني بمظهره باستمرار، إذا ما علمنا بأن نصف زبائنه هم من فئة النساء.

المهم قدمت أوراق معاملتها له قائلة:...

- هل هذه الأوراق هي المطلوبة، أم لازال فيها نقصا ما؟ أنا زبونة جديدة أود فتح حساب بنكي عندكم، وارجو أن توضح لي تعليمات البنك وطرق السحب والإيداع، وتفعيل كارت البنك.
- هل أنت حديثة التعيين في دائرتك أم نقلت حسابك من بنك آخر إلى بنكنا؟
- لالا.. أنا تعيين جديد، تعينت منذ شهرين بصفة مدرسة.
- أهلا وسهلا، تفضلي أجلسي.. (صار يقرأ في أوراقها، سهى محمد سعيد، مدرسة مادة الإنجليزية، منسبة إلى وزارة التربية..

يا سهى: كم تودين أن تضعي من مبالغ في حسابك؟

- كم علي أن أضع ليست لدي فكرة عن الموضوع؟
- أي مبلغ يعجبك ولكن على أن لا يقل عن ما قيمته يساوي مثقال ذهب.
- حسنا دعنا نبتدأ بما قيمته مثقال ذهب = 30 دولار.
- وهو كذلك، عليك أن توقعي على هذه الشاشة التي أمامك بالقلم الموضع جانبها، وأن تختاري في هذه الخانة أربعة أرقام على أن تكون سرية تحفظيها عن ظهر قلب، لأنها ستكون مفاتيح سحبك وإيداعك للأموال، دعيها سرية، لا يطلع عليها أحدا غيرك، سجليها هنا.
- حسنا.. 0000، انتهيت.
- تفضلي: هذا الظرف المغلق، مكتوب في داخله رقم حسابكِ البنكي وكارت البنك. يمكنك أن تستخدميه من يوم

غـد، حيـث يفعـل الكـارت ورقـم الحسـاب البنكـي بعـد أن تمـر عليه فترة أربعة وعشرون ساعة.

- شكرا لك وعلى حسن تعاونك.
- هـل لـي أن أراك ثانيـة..(قالهـا بصـوت همـيم فيـه شـيء مـن التوسل ما يصعب أن يرد بجفاء).
- إذا أراد الله ذلك.
- مع السلامة.

بقـي فكـره مشـغولا بهـا، متـأملا أن يراهـا مـرة أخـرى، متأملهـا أن تبادلـه المشـاعر، شـعر بهـا أنهـا جـوهرة لا يمكـن الأفـراط بهـا.. فـي المقابـل هجسـت بـه شـاب متكامـل، لا تنقصـه وسـامة ولا ذهـن، حيـث بتلـك الملامـح الناعمـة وبلحيـة وجهـه الخفيفـة والمرتبـة، وبقيافته الجذابة، كفيل أن يستحوذ على قلب أي فتاة.

حـين تكلمـت معـه؛ التمسـت نعومـة أدبـه ورغـاء صـوته الـذي تعشـق فـي ألـواح مشـاعرها وأحاسيسـها، هجسـت بتوسـلاته مغشـية بنبـرات صـوته، ترحيبـه المبـالغ بـه وخدمتـه وتقـديره لهـا التصـقت فـي شـريحة الـذاكرة، لـذا هجسـت بتنهـدات جوارحهـا تهتـز وهـي تتأمل تجديد اللقاء في داخلها.

بعـد مغادرتهـا تركـت فـي ذهنـه صـورة ألقهـا كرسـالة ماجنـة، تحثـه علـى تتبـع قامتهـا وأخبارهـا، كـان قـد فكـر بمواجهتهـا، أو بمراجعتهـا فـي مدرسـتها، ولكـن الظـرف قـد يـنعكس ضـده، كونهـا حديثة العهد في المدرسة وقد يضر بسمعتها..

لكنها لم تخيب ظنه، كانت قد عادت إليه بعد يومين، عادت لتقف أمامه مرة أخرى في ذات الطابور، تتأمله من بعيد وهو مشغول بأوراق مراجعيه

ما أن لمح وجهها حتى أرتجت أساريره، ما أن شاهدها وعينيها مصبوبتان عليه؛ حتى صعقته المفاجأة، فلم يدعها تنشغل بالتفكير والانتظار طويلا، حينها وقف على قدميه مناديا عليها باسمها دون أن يدعها تنتظر دورها.

- سهى... تفضلي، ما خطبك؟ لم أنت واقفة في الطابور
- أستاذ الكارت لم يفعل كما أخبرتني.
- كيف؟ مستحيل!!! أجلسي لنرى السبب.

وما أن فتح صفحتها وكشف عن الخلل في الحاسب الآلي؛ حتى صار يبتسم ويضحك بابتسامة عريضة شرخت وجهه، هههههههههه،

- ها يا استاذ؛ ما خطبك؟ لم تضحك؟

كان قد وجد ذاته قد نسيت أن تفعل الكارت، فأدار وجهه إلى وجهها مبتسما.. قائلا لها بصوت منخفض:..

- والله أنت السبب.. والله يا سهى أنت السبب (مؤشرا بسبابته).
- لِمَ...لمْ أفهم؟ ماذا فعلت؟

- لقد شغلتُ بفتنتك فنسيتُ أن أرسل معاملتك لجهة الإصدار وتفعيل الكارت. أنت يا سهى جميلة جدا، وأنا أتمنى أن ....
- أن ماذا؟....
- ممكن تسمحي لي بالاتصال بك بعد أن أنهي عملي، رقم هاتفك موجود عندي على الكومبيوتر.
- لا ضير في ذلك.
- شكرا لك، سأتصل بك في تمام الثالثة عصرا.
- مع السلامة.

قالتها وهي خجلة في داخلها، وفرحة في عالمها، هجست بندى الحياء صار لها عطر يفوح بها وجهها، أضحت فاقعة اللون، كأنها كشفت له عن مخزون حرثه في قلبها من الأعجاب.

غير أنه لم يصدق ذاته استجابتها له، أصيب بتشنج الفرح والانبهار لما آل إليه الموقف، كأنَّ الفرحة التي غمرت قلبها نفذت من السعادة التي عصفت بقلبه. كاد أن ينسى عمله، لولا أن أستعاد رشده بكرعه قدح ماء موضوع على طاولته..

لا يدري كم من الزمن مر به وكم بقي يلوذ بين لحظة فراقها وحلول ساعة المهاتفة، فترة عصرٍ زمني، مليء بالقلق والتشنج والحيرة والاستعداد والتهيؤ. بات الوقت يجري به جري السلحفاة، عاش تلك اللحظات بين شوق وتأمل وخيال، غدت المشاعر تلتع على أثاف الصبر.

مـا أن دنـت اللحظـة الحاسـمة؛ حتـى كـبس علـى أسـمها، لتـذهب الإشارة محملة بكم العواطف الجياشة إلى وهدة هاتفها..

مـا أن وجـدت هاتفهـا يصـرخ بحملـه الثقيـل؛ حتـى أخذتـه بحنـين ورأفـة ليقبـل أسـيل خـدها، لقـد عرفتـه مـن خـلال نبـرات صـوته المرتبكـة، مـن خـلال الـرقم الغريـب، حينهـا عرفـت القصـد والطارق.. فمنذ تلك اللحظة أبتدأ بينهما المشوار.....

مجرد لقاء

حين التقيته كان الوقت قد تجاوز الموعد المتفق عليه بنصف ساعة، لذا وصل باللحظة التي وددت أن أغادر بها حدود المعهد، لم أكن أتوقع شكله وطوله وبساطته بتلك التي رأيته بها، خيل إلي أقصر من ذلك قليلا وأكبر سنا على ما وصفته لي ساره قبل مجيئه؛ لكني حين التقيته اشفقت على دراجته التي تحملت وزره، هجست بها تشكي عجزها وهوانها وتحمله كحمار يشكي اسفاره، بدت لي مرهقة، منهكة، ضعيفة بمقارنتها بثقله ووزنه وحجمه وبلادة طولهِ.

ما أن لمّحَتْ له ساره إلى وجودي؛ حتى تقدم مني مرحبا، معرفا ذاته بيَ...

- أهلا وسهلا أنا سعيد بلقائك....أنا أدعى ديفد.
- وأنا فارس... كنت انتظرك بشغف، تصورتك أقصر طولا وأكبر عمرا..هههههه. لكنك طويل جدا هههههه.

هكذا رحبَ بي ورحبتُ به، ثم استدعاني لغرفته لطرح بعض الاسئلة التي ود الاستشراق بها وخوض حديث في محتواها.

وانا أستمع إليه هجست به تكمن في داخله نُسالة شوق وشغف، لمعرفة ما أود الاستكانة إليه.. هناك شيء ما غائر في ظنه، يتحكم به ويوجهه، قد تكون رغبة ما شكمته أو حكمة ما دفعته للتعرف على المزيد مما أود أدراكه والوصول له من خلال لقائنا القصير، هكذا خيل إليَّ، وهكذا جاريته ونحوت خلف غايته، لأستلطف ما يثيره..

كان مفعما بالحيوية، معني في طرحه، مسترسلا، متجاذبا، متجانسا، مما جعل ذلك الشيء الذي يقمص فكره يرفع قدره، ليكون بمثابة شخص ثانٍ مخفي خلف واجهة بدنه، ذلك هو ألأنا الذي تتحكم بإرادته وقدراته وإدارة شؤونه. فكنت أستلم منه أسألته وأستمع له وأتبع ظنه بلهفة، كأني أقابل شخصيتين في ذات الوقت، ديفد الظاهر والمخفي خلف تلك الهواجس.

نعم قد يكون الإنسان في تكوينه مركب من عدة شخصيات تدير شؤونه وترفأ بقدره، لذا تجده يتقمص الادوار حسب الظرف المناطة له، بتكوينه يكون ممثلا بارعا يستطيع إدارة منهجه بحكمة

لذا تركت نفسي تنوس في أفكارها، تساير تلك القطة الأليفة القابعة في داخلها، والتي أهجس بها إذا ما أثابت إلى فكري استقرت، وإذا ما خالفتها؛ تثب بوحشية بوجهي.... لذا تركته

يسرح بفكره، يرتع بإرهاصات ظنونه، بشيء من الهوس والتأمل الغير محدود.

ربما تكون تلك القطة قد تَحسّستْ وجودي فودت أن تهضم معاني السطور المبهمة فيما بيننا. ربما الفطنة أدركت ضفة النور المراغة في خُلده فارتقت بي لحدود صخبها. ربما كل ما جال على لسانه فصل من الخيال، جرفه لغاية سري، فود تشريف جدولة فكره بأفكاري، كالهالة تخفق بين دماسة الأمواج الراقصة.

أنه اللغز الذي شع سناه في الأفق، فأحرق نسيلة صمته، فستبان دخانه يتسامى في ظني.. شيء من ذلك القبيل، اشاح لي فكره وظنه. لذا صرت أتبع ذاته المستترة برجاء، لأستكشف صفحات شخصيته المموهة بقدر ما خيل إليَّ.

وأنا أتبع وجسه وهاجسه بوجسي وهاجسي، سائرا خلف ذلك الارتياب القاطن في ظنه، والمشاع في تفاصيل وجهه الأملط، الغائرة في امتدادات حدقات عينيه التائهة، وهو يشنف بها محيطه بنظرات يحفها الانبهار والتساؤل؛ كنت قد أدركت حينها حدة صوته وعمق صمته. كأني توافقت بذاتي مع ملكوت ذاته المكفولة في إدارة الحوار، كأنها قد رقت له وتناغمت مع أهواءه، لذا صرت أسرد له تفاصيل الثيمة ولغز بعض الأحداث المرفقة في سطور كتابي (طريق الجحيم) بشيء من الأمداء والتجرد، لتتوضح دهمة الفكرة عن ما سَطرتُ من أضواء.

مع تدارك الوقت بدأت تطفح في وجهه فرائص الغاية، كأنه ود تعدين مسار الطريق أمامي لغاية هدف يخفق في نهايته. بذا صرت أستمع له وهو يشير إلى عنابر الحلم الذي أبتغيه بشيء من المرونة وعزف النداء المستتب في فكري، والبهجة التي أود أن أرتقي لها في ذلك الحوار، كأنه أخذ ينفض هباب الغبار من على سطح الفكرة التي أبغي الوصول إليها، لتلمع في حدقات العين، وبذلك جعلني أقرأ درجات الوان الحلم وهو لازال طيفا يدور في فلك الذهن.

ما أن راغت النفس في أعماق الرغبة، وما أن وجدت في النوافذ المفتوحة درفها؛ حتى تشظى الزجاج المموه المنشأ ما بيني وبينه، حينها طلست الفكرة ترفأ بلون اليقين، أغدقتُ ترفأ بباله تزحف على حدود الشك الدائر في خلده.

قبل أن أسدل الستار عن نافذة اللقاء، بصمت له بالغد القادم على أتباب تفاصيل الفكرة المراءة بظنه، بالانتماء لها وبالعمل الجاد وباللقاء المتجدد.

وقبل أن نفترق لمحت له برخاء اللقاء وحسن الوداعة التي تحلى بها، فاتسمت ملامح وجه بابتسامة رضا وحنو، راغبا تكرار اللقاء....

كان اللقاء بيننا أشبه برمية حجر في بركة ساكنة، فأضفت موجات الأمل تتدفق في سر ذلك الصمت العائم، كمن حرك بها ستائر الحياة، فصارت تبدو أكثر إشراقة وأمل للغد الآتي.

عواصف الشتاء

آلت الظروف إلى أن أترك زوجتي تحت سقف ظرف موارب كان قد حل بنا على حين غفلة من أمرنا؛ بحثا عن صيغة استقرار نبتغيه، عوضا عن حالة الوطن الصحية أثر الاحتلال الغاشم الامريكي البريطاني للعراق.

وأنا في عنفوان شوقي لحبيبتي، وبالرغبة الكامنة في ذاتي للعودة للوطن لأجدد لقائي بها، كنت قد سهوت بتفاصيل العُقدْ التي كبلتني بقيود الغربة والتي غرزت العناء في كل مرافقي. حينها كنت أحاول تسليك الوقت بالعبث الذي ينسيني الهم، حيث أغرتني أمورا جمة، جعلت حالة الشوق تخفق في ثنايا الفكرة، في مواجهة الفشل والإخفاق والخيبة والرعونة التي تعلقت بقدري كرغاء، سلبتني عزيمتي وإرادتي، جعلتني ارتع بثنايا الصمت والسكوت دون حراك.

وأنا في تلك الحالة المقيتة المتقلبة من المزاج والحالة الغير المستقرة التي أودت بي لحالة الشرود والتعقيد؛ انتابني وجس

مـن قـدوم الغـد وأنـا أعـيش ذلـك الـروتين المنهـك، كأنـه حـط علـى قـدري طـائر الشـؤم، أضـحت نوبـات الشـوق تـراود حفيظتـي كعواصـف الشـتاء، تـزكم أنفاسـي، تشـتت ظنـي، بحيـث تجيلنـي لحالـة الانكمـاش والسـكون والتقهقـر داخـل غرفتـي دون أن أجـد مسلكا أنفذ منه لحالتي الطبيعية.

حالـة قسـرية شـكمتني بـالجمود والاحتبـاس والاحتقـان، لـيس لهـا شكل ولا لون سوى أن اتحمل القدر الذي أعماني.

تلـك الاوضـاع صـارت ترتـاد فكـري بشـكل روتينـي، تثبـر لحظـة الأمـل قبـل أن تطفـح علـى شـبكة الـذهن. تثيـر حفيظتـي بمستشـعرات النـدم، طاقـة ممغنطـة بتشـنجات الغربـة تمنعنـي مـن التحـرر، أهجـس بهـا كتلـك التـي تسـري بأسـلاك الكهربـاء، تنتهـي بحـرق فتائل الشوق بالمسالك المظلمة.

هكـذا أجـد ذاتـي مأسـورة بتلـك الطاقـة السـلبية، فلـن يسـتقر مزاجـي إلا بلقـاء حبيبتـي، تلـك الطاقـة أن لـم أحرقهـا بـذاتي سـتحرقني، ولـن تلمع صدفية حياتي.

منـذ أن سـكنت ديـار الغربـة وأنـا أدور فـي دوامـة العقـد، ككوكـب أنحـرف عـن مـداره، وأنـا فـي تلـك الحالـة مـن الصـراع النفسـي كنـت أحـاول أن أسـتجمع قـواي علـى إدارة محـور الصـبر، وذلـك بـالقراءة وتشـريع حالـة الصـياعة لغايـة تجـاوز الازمـة، عسـى أن أشفي غليلي، أو أعود أدراجي إلى حبيبتي.

في ظل تلك الظروف الشظفة، تطلعت عبرة نافذة غرفتي إلى المنظر الخارجي، إلى الشارع العام المار بجانب العمارة التي أسكن بها، علني أن إلهي فكري بشيء ما يشغلني.

وأنا في تلك المرية؛ وإذ بي ألاحظ في موقف الباص طيرين من طيور الجنة وهما يغدقان حبا، يرفرفان بأجنحة الشوق، يهدلان بعشق منقطع النظير في موقف الباص المقابل المقابل للنافذة، في ظل سقوط وفر الثلج..... طائران بعمر الورد دون سن البلوغ، تلميذان من تلامذة المرحلة الثانوية وهما يرتديان السحر والأناقة كجلباب من الجاذبية...

تهجس بالبطلين كفاكهتين مختلف الوانها، معلقين بغصن الشوق بخيط متين من الود والمحبة. كلا منهما بثنييه يغري صاحبه بالفتنة المباحة في وجهه، يفتنه بما يملك من بهاء وطلة وكرزمة وليونة وإيباء.

كان الفتى حميما، ساحرا وهو يحمل حقيبته المدرسية على ظهره، لقوام جسمه الرشيق وحسن ملامح وجهه، فيما كانت الفتاة تبدو كزنبقة، كفراشة ربيعية لطيفة، جذابة، مغترة بضوع ذلك الشاب الأنيق، تحاول أن تلطف بهاء الشاب ببهاء حسنها الأهيف، فصارت تخفق جناحيها وروحها برقة في ميدان عالمه البهيج المغنج، وهي تمسح وفر الثلج عن وجهه وأكتافه.

كانت تتحرك أمامه، تدور حوله وحول نفسها وذلك بعد أن طرحت حقيبتها أرضا، لألا تربك مزاجها العالي، وكي لا تثقل

كاهلها، كأنها تدور حول زهرة لجاذبيته المبهرة، هكذا صارت تلتف حوله، تعانقه، تقبله.

كانت الفتاة لأناقتها وسحر جمالها تبدو كضفيرة طفلة، مزهوة بشريط عمرها وربيع فتنتها، متلألئة، أنيقة جدا بلبسها وفتنتها ولون بشرتها وحلو شعرها الأشقر. سحر مثار فوق قامتها، تبدو بعمقها فرحة، جذلة، كلوحة ربيعية جذابة، لما يشع بها من أضواء وبهجة وفتنة منقطعة النظير.

تهجس بها تود أن تطير بالفتى إلى فردوس الأحلام، إلى لحظة التصاهر والانحلال والتسامي، وهي ناثرة شعرها الذهبي المهفهف على كتفيها يتلاعب به نسيم مائج برذاذ الثلج. تبدو كحمامة تود أن تتسلق سماء الفتى، وهي ترتع بديباج الشوق بين حدقات عشيقها، تتحرك كفراشة تحت رذاذ الحب، تغر بذلك عشيقها الرابض أمامها كملاك ساحر.

بينما كان الشاب ينظر لها بإعجاب؛ يبغي أن يرفأ بسحر تلك الماجنة، الهيفاء، الندية وهي تغازله برقة أنوثتها.. كان يقف أمامها مبتسما كغصن بان، يرفأ بظل استقامة الخيزران. بقرارة نفسه ود أن تظل تلك الأشواق الناشزة في عيون حبيبته زرقاء بلون عيونها، خضراء كنضارة السحر المياس في قدها، صار يحتضنها بين الفينة والفينة، يغرقها بالقبل.

لم يكن أقل شأنا منها قط، ولا أقل شوقا وهياما، أنما كان أقل عنفوانا وحركة وأكثر رزانة، فأضفى على شخصه كرزمة وكبرياء، بقوامه الرشيق وحسن طلته؛ بدى أمامها كعمود النور

يضـــيء وجههـــا، يبادلهـــا الأشـــواق بحـــرارة، ذلـــل لســـعة النســـمة الباردة اللاحفة جسدها.

كـــان وســـيما فـــي القـــوام والشـــكل والأناقـــة، كـــان يزيـــدها طـــولا بمقـــدر شـــبر، لـــذا حـــين تقبلـــه؛ كانـــت تقـــف علـــى رؤوس أصـــابع قـدميها، محلقـة يـديها بعنقـه، تجبـره علـى الانحنـاء؛ حتـى يـدك فاهها فاهه.

كانـــت ترتـــدي بنطلـــون جرســـي عســـكري، أشـــبه بملابـــس المغـاوير، مقـور مـن الركـب حسـب نـوع الموديـل السـاري بـين فئـة الشـباب، إضـافة لبلـوزة سـوداء ملصـقة علـى الجسـد وسـترة قصـير بنية فوق الخصر توائم لون البنطلون.

فيمـــا كـــان الشـــاب الانيـــق يرتـــدي بنطلـــون جـــنس أســـود فـــاحم وبلـوزة بيضـاء ناصـعة، تعكـس لونهـا علـى بشـرته البيضـاء، فيبـدو كمـرآة عاكسـة لجاذبيتـه، كعمـود النـور الوهـاج يثيـر الحشـرات مـن حولـــه، فكلمـــا تقتـــرب منـــه؛ تلـــتظ بشـــعلة الجاذبيـــة، فتحتـــرق أم الجناحان بالقبل تحت رذاذ المطر.

كـان يقـف أمامهـا كـالطود، واثـق مـن نفسـه، يفـيض سـحرا، جـذلا، مســرورا وهــو يتطلــع إلــى حركــات ورقصــات حبيبتــه بابتســامة بريئة.

كـــان يبتســـم بوجههـــا،، يكركـــر معهـــا، يحادثهـــا، يحثهـــا علـــى تأملاتهـا المسـتقبلية، يرفقهـا بشـحنة مـن شـواظ قلبـه المعنـى، المفعـم بالغرام والوله والصبابة. ...

وأنا أراقبهما عن بعد؛ كأني كنت اسمع حوارهما وتهامسهما رغم المسافة الشاسعة، أهجس به أشد فرحا بها، يكبلها بلاعج أشواقه وفتنته، متحملا جلد الطقس، رابضا معها في الموقف حتى يحين الباص. ملتاع بهواها وبسوء الاحوال الجوية مثلما لاعها بنار صبابته.

ما لفت نظري هو اندماج طيف البطلين في لوحة تعبيرية لم تهتز مشاعرهما رغم زمهرير الريح ولو نتفة، وكأن الحرارة المشعة من دواخلهما تطرد غثاثة البرد، لذا كانا يتحركان ويتناغمان بشغف وشبق كعصفورين يستحمان في بركة، أحدهما يود ان يقضم فتنة صاحبه برغبة.

لذا تماديت في مراقبتهما لأستطلع نهاية المشهد، كأنهما ذكراني بطفولتي الكئيبة، التي مضت دون أن تبرق فيها بارقة صبح تزيح العتمة من حياتي، دون أن تحيل صبري إلى أمل أتغنى به.

بقيت الفتاة بذات الوله والشوق ترقص وتدور حول الشاب كفراشة ربيعية، كلما ودت أن تسرق من شفتيه قبلة، كانت تشعر بغنج ورواء، لذا باتت ترتعد بشوقها تحت ظله، ولم يترك حالة الغياث تجتاحها دون أن يخفف من لهيب الشوق الذي يجتاحها بالقبل والعناق، مضت ترف وتشف ملامح وجهه بشيء من الحنين والشبق، تحاول أن تخصف وتخرت الفرص السانحة، لتطفي بها شرر فؤادها المُعنَّى.

كانت أشبه بالطائر الجذل لحظة زفافه، ترفرف بجناحيها في حركات استعراضية لطيفة، تدور حول نفسها وحوله بغنج، شاعرة بلهفة الهيام يشدها إلى حسنه ورجائه. مما جعلت ذلك الشاب اللطيف ينبهر بها ويتبع أثر حركاتها بلهفة وهو مغتر بذاته وبسلوك عشيقته.

صار يطاردها بنظرات عينيه، وهي تقترب منه خطوة وتبتعد عنه أخرى؛ حتى تعد ذاتها للقبل، جعلتني أشتد حنينا ولوعة لزوجتي وحبيبتي، بعد أن زاد الفراق المجحف من غيبه وقسره.

وما أن دنت لحظة اقتراب الباص من الموقف؛ حتى أشتد التناغم بينهما على أشده، صار العزف يرطن بالأحداق والأذان، ادركا لحظة الوداع، حينها طفقت إليه وسرقت من شفاهه قبلة طويلة، ومن ثم أرتمت بأحضانه واضعة رأسها على كتفه بلهفة وحنين. وقبل أن يدركهما الباص بلحظة ارتدت حقيبتها على ظهرها، وكأنها حانت لحظة أفول شمس ذلك اليوم، احتضنته حتى غدى الباص حاجزا بيني وبينهما.

وهما على وضعيتهما؛ لم يكونا يباليان بالمارة من البشر، تلك التي كانت تنظر لهما نظرة اعجاب وخيلاء، فيها تحسر ودعاء.

ما أضحكني في ذلك الموقف وأحزنني في ذات الوقت؛ هو ذلك الشاب الذي كان يقود دراجته على الرصيف الثاني المقابل لهما، وهو ماض في طريقه بسرعته المعتادة، كان واثقا من قيادته، وكان قد جذبته تلك القبل، اندمجت مشاعره في الحالة الماثلة أمامه، لينسي ذاته، حتى أصطدم عنوة بامرأة بدينة،

حينهـا صـار يلعـن حظـه العـاثر وزيـغ الشـباب علـى مـا أصـابه وجناه. هههههه.

كـأن الشـمس قـد أفلـت لحظـة وقـوف البـاص، ودعتـه بإمـاءة مـن يـدها وهـي تركـب البـاص علـى عجـل، حينهـا أنطلـق البـاص بهـا إلـى قريتهـا (مـارين بـري) حسـب العلامـة المشـارة علـى البـاص.. فيمـا عـاد الفتـى إلـى وكـره سـيرا علـى الاقـدام وعينيـه تتبـع انـزواء البـاص بـين منعطفـات الطريـق تحـت سـقوط وفـر الـثلج الـذي أشـتد هطولـه، ليحـرق ذاتـه بـذكريات تلـك السـاحرة وهـو يتأمـل طيـف فـي مـرآة قلبـه وحـدقات ظنـه بـدموع الـوداع. لتبقـى تلـك القبـل كـإبر تشـك الشفاه حتى اللقاء القادم.

بفراقهمـا هجسـت بـأحوال الجـو أظلمـت، لتبقـى اطيافهمـا فـي موقـف البـاص تـذكرني فـي موضـع الأناقـة، مثـل نبتـة ترتـأي سـقوط المطـر. هجسـت بـذلك اللقـاء يشـبه عواصـف الشـتاء، وهـي تجلـد العشاق بين الأحايين.

النهاية

للكاتب ستة عشرة كتابا بين رواية ومجموعات قصصية

المجموعات القصصية:-

1- فرصة هدف
2- عصير الرمان
3- لغة العود والحجر
4- زيارة طبيب

مجموعة الروايات:-

1- لغز اللؤلؤة
2- فتاة الكاظمية
3- جنوح النفس
4- عبير
5- شذرة من العقد
6- طريق الجحيم
7- غراب البين
8- نقط الحروف
9- الاقداح المتكسرة
10- عواصف الجنين
11- الفراغ
12- صور مضيئة

المصيبة التي أرهقت ذلك الشاب؛ بأن أميمة بوجهها العابس، الغاضب، تبدو أشد فتنة مما وهي تبتسم، هجس بنور وجهها وهي جانحة بسخطها كنور القمر في واحة السَحَر، فيها فتنة مرهفة، مراءة، أرهقت ناظره، لما فيها من ودق أغشت بها لهيب فؤاده، هجس بذلك الألق وهو يشتط من فتنتها كشعل مصابيح.

لذا فكر أن يتبعها دون أن تعلم به؛ حتى يتعرف على رقم غرفتها، ليعود إليها بعد ان تعرفت على غايته، ليفتح لها صنبور أشواقه، عسى أن ترهف به وتلين أمام عصفه.... كأنَّه شعر بذاته قد أخطأ في سلوكه الهمجي بمعاكستها في الطريق، لذا أراد أن يبهج قلبها بشبابه بلحظة صمت، عسى أن يقطف منها نظرة أعجاب تريح أعصابه.